شرح لمعة الاعتقاد

الهادي إلى سبيل الرشاد

لابن قدامة رحمه اللّه

من الدرس (١) إلى الدرس (٤)

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما اللّه تعالى

الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أنَّ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللَّهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينِّا محمد وآله وصحبه أجمعين، اللَّهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا، وأصلح لنا شأننا كلَّه، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، اللَّهم إنَّا نسألك الهدى والسَّداد.

أمَّا بعد.

فهذا الكتاب الذي بين أيدينا (**لُمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرَّشاد**)، من تأليف الإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامى المقدسي الدمشقي الصالحي الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى، كتاب نافع في بابه؛ بيان المعتقد وذكر أصول الديانة، اعتنى فيه ببيان هذا الجانب على سبيل الإيجاز والاختصار، لكنَّه مع اختصاره أتى مشتملا على أهم مضامين أصول المعتقد.

سماه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى لمعة الاعتقاد، وهذه الكلمة (**اللُّمعة**) لها معانٍ، لكن أقرب ما يكون إلى مقصود المصنف أنَّ المراد باللُّمعة الضياء والوضاءة والحسن، وهذا شأن الاعتقاد الصحيح، الاعتقاد الصحيح نور وضياء وهداية، ولهذا قال: (**لمعة الاعتقاد الهادي**)، فالاعتقاد الصحيح يهدي صاحبه إلى كل فضيلة، ويسوقه إلى كل خير، إذ إنَّ القلب إذا عمر بالإيمان والاعتقاد الصحيح كان سببًا لهداية الجوارح إلى كل خير، وهذا واضح في حديث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عندما قال: «**أَلَا إِنَّ فِي اَلْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ اَلْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ اَلْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَّا وَهِيَ اَلْقَلْبُ**».

فالقلب إذا استقام على المعتقد الصحيح والإيمان القويم المستمد من كتاب الله، هدى صاحبه إلى سبيل الرَّشاد، حاصل القول هذا العنوان للمصنف كاشف عن حقيقة مهمة لأمر المعتقد ألا وهي: أنَّ المعتقد نور وضياء لصاحبه، إذا استقام قلبه عليه هداه إلى سبيل الرَّشاد.

الرشاد ضدّ الغواية، فهداه إلى سبيل الرشاد **أي**: هداه إلى سبيل الصلاح والاستقامة والعمل الصالح.

وهاتان الكلمتان اللَّتان جاءتا في العنوان، عنوان الكتاب **الهداية والرشاد** إذا اجتمعتا يراد

بالهداية: صلاح العلم.

والرشاد: صلاح العمل.

فإذا استقام القلب على صلاح العلم بالعقيدة، وربط قلبه على المعتقد الصحيح، استقامت الجوارح صلاحًا وزكاء واستقامة على طاعة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لمعة الاعتقاد)**.

الاعتقاد أو المعتقد أو العقيدة هذه لفظة شرعية مأثورة عن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وعن سلف الأمة، كثير من أئمة السلف سموا مصنفاتهم في الإيمان وأصول الديانة بهذا الاسم العقيدة، كثير جدًا، وهذا اللَّفظ مأثور عن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقد ثبت في سنن الدارمي عن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنَّه قال: «**لَا يَعْتَقِدُ قَلْبُ مُسْلِمٍ عَلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ إِخْلَاصُ الْعَمَلِ، وَالنَّصِيحَةُ لِوُلَاةِ الْأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ**»، ماذا قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟ «**لَا يَعْتَقِدُ قَلْبُ مُسْلِمٍ**»، **وقوله** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «**لَا يَعْتَقِدُ قَلْبُ مُسْلِمٍ**» هذا مفاده أنَّ العقيدة مكانها القلب، وسمي الإيمان الذي في القلب عقيدة؛ لأنَّ المطلوب من المسلم أن يربط قلبه على هذه العقيدة استمساكًا بها وثباتا عليها ورعايةً لها، فالعقد والربط، وهذا يفيد الثبات والرسوخ واليقين وعدم الشكّ، مثل ما قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴿١٥﴾﴾ **[الحجرات: ١٥]**، هذه العقيدة، العقيدة لا يدخلها الرَّيب، إذا دخلها الرَّيب لم تصبح عقيدة، إذا دخلها الرَّيب دخلها الشك لم تصبح عقيدة، العقيدة هي أن يربط القلب على أمور الإيمان بحيث لا يكون في القلب شكّ ولا ريب ولا تردد، الحاصل أن هذا الاسم اسم شرعي، مأثور عن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وعن سلفنا الصالح بل عدد من أئمة أهل العلم جعلوا مصنفاتهم في الإيمان وأصول الديانة بهذا الاسم العقيدة أو المعتقد أو الاعتقاد.

مؤلف هذا الكتاب من أئمة السلف وفقهاء الإسلام، نشأ في بيت علم، ونشأ نشأة علم وأدب، وهمة عالية، وحفظ للوقت.

ولد في جمَّاعيل من قرى نابلس بفلسطين، عام خمس مئة وواحد وأربعين في شهر شعبان، وتوفي يوم الفطر في سنة ست مئة وعشرين للهجرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكما قدمت نشأ نشأة علم حتى برع، ولا سيما في الفقه حتى قال شيخ الإسلام تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشيخ الموفق رَحِمَهُ ٱللَّهُ»، وله مصنفات في الفقه مشهورة ترقى فيها وتدرج مع طالب العلم بدأها بعمدة الفقه مختصر، ثم ترقى إلى أن يصل طالب العلم إلى كتابه المغني.

وكان مع سعته في العلم والفقه حسن الخلق جميل الأدب طيب المعاملة، قيل في ترجمته: كان لا يكاد يراه أحد إلاَّ أحبه، وما أوجع قلب طالب؛ **يعني**: ما من يوم من أيامه تضايق منه أحد طلابه أو آلمه بكلمة أو جرح

مشاعره بلفظ أو نحو ذلك، وهذا من كمال أدبه وحسن خلقه وجميل تودده رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعالَى، وممَّا يذكر في أوصافه -وهذه الأشياء تذكر حتى تثير في طالب العلم الاستفادة من مسالك هؤلاء الأئمة- من لطيف ما يذكر في ترجمته قال الضِّياء المقدسي: «كان الموفق لا يناظر أحدًا إلاَّ وهو يبتسم»، المناظرة فيها تحفز وفيها ثورة النفس وفيها ،وفيها، وهو في المناظرة يملك نفسه يناظر وهو الابتسامة لا تفارق محياه، وهذا أمر صعب حتى من يعني في بيان صعوبته، الذهبي أورد هذا في السير وعلق عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله : «بل أكثر من عاينا لا يناظر أحدًا إلَّا وينسم»، يعني: تثور نفسه كأنمَّا أصابه شيء من داء أو نحو ذلك، ويتغير وجهه وتضطرب أركانه، الحاصل أنَّ هذا المؤلف يعني: عرف بفضله وخلقه و أدبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو عبد الغني المقدسي ابن خالة ونشآ معًا في الطلب ، هذا مال إلى الفقه، وذاك مال إلى الحديث، هذا برز في الفقه؛ أعني: ابن قدامة، وذاك برز في الحديث، وكان بينهما صحبة ورحلة في طلب العلم سويا، وهذه الصحبة لهما فيها حظ من قوله تَعَالَى : ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [القصص: ٣٥].

طالب العلم يحتاج إلى أن يكون له سنَّد من إخوانه، يشدُّ من عضده ويؤازره في التحصيل وفي طلب العلم، ندخل في هذه الرسالة **لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرَّشاد** ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعَالَى، سائلين الله جلَّ في علاه أن ينفعنا أجمعين، وأن يوفقنا لكل خير، أنَّه سميع قريب مجيب.

الحمد لله رب العلمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، الَّلهم اغفر لنا ولشيخنا وللمسلمين والمسلمات أمَّا بعد:

فيقول الشيخ موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه لمعة الاعتقاد:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَلْمَحْمُودِ بِكُلِّ لِسَانٍ، اَلْمَعْبُودِ فِي كُلِّ زَمَانٍ، اَلَّذِي لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ، وَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ، جَلَّ عَنْ اَلْأَشْبَاهِ وَالْأَنْدَادِ، وَتَنَزَّهَ عَنْ اَلصَّاحِبَةِ وَالْأَوْلَادِ، وَنَفَذَ حُكْمُهُ فِي جَمِيعِ الْعِبَادِ، لَا تُمَثِّلُهُ اَلْعُقُولُ بِالتَّفْكِيرِ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ اَلْقُلُوبُ بِالتَّصْوِيرِ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، لَهُ اَلْأَسْمَاءُ اَلْحُسْنَى، وَالصِّفَاتُ اَلْعُلَا ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى، وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَقَهَرَ كُلَّ مَخْلُوقٍ عِزَّةً وَحُكْمًا، وَوَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾، مَوْصُوفٌ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ اَلْعَظِيمِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ اَلْكَرِيمِ).

بدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعَالَى هذا المصنف بهذا الحمد والثناء على الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الدال على مضمون الكتاب ومقصود المصنف فيه، وهذا يسمى ببراعة الاستهلال يعني: إذا نظرت في استهلاله عرفت مضمون كتابه وفحواه فيكون الحمد مضمنا خلاصة موضوع الكتاب وما مقصوده.

قال: (اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَلْمَحْمُودِ بِكُلِّ لِسَانٍ) يوضح هذا قول الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤]، فالمخلوقات كلها تسبح لله وله تسجد إلاَّ ضلال الناس فقط، إلا ضلال الجن والإنس، وإلا كل المخلوقات مخبتة لله خاضعة له سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ تسبح بحمده جل في علاه (اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَلْمَحْمُودِ بِكُلِّ لِسَانٍ، اَلْمَعْبُودِ فِي كُلِّ زَمَانٍ) (اَلْمَعْبُودِ فِي كُلِّ زَمَانٍ)، معبود في الأرض ومعبود في السماء كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴿٨٤﴾﴾ [الزخرف: ٨٤].

أي: معبود في السماء، ومعبود في الأرض؛ فعبادته سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في خلقه دائمة مستمرة، وهو خلقهم لهذه العبادة، وأوجدهم لها.

(الَّذِي لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ) أي: أن علمه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ محيط بالمخلوقات، وخلقه لهذه المخلوقات دليل على إحاطة علمه بها ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: ١٤]، ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يخلو من علمه مكان بمعنى: أن علمه وسع كل شيء وأحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا لا تخفى عليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خافية في الأرض ولا في السماء (وَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ) قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن: ٢٩]، يحيي ويميت، يعزُّ ويذل، يخفض ويرفع، يقبض ويبسط، يضحك ويبكي، يهدي ويضل، الأمر أمره، والخلق خلقه، (لَا يَشْغَلُهُ سُبْحَانَهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ).

(جَلَّ) أي: تنزه وتقدس (عَنْ اَلْأَشْبَاهِ وَالْأَنْدَادِ) تنزه عن الأشباه أي: ليس كمثله شيء كما سيأتي في الآية.

(وَالْأَنْدَادِ) أي: ليس له كفؤ ولا ند ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢]، تنزه وتقدس عن ذلك كله.

(وَتَنَزَّهَ عَنْ اَلصَّاحِبَةِ وَالْأَوْلَادِ)، ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠١]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [سورة الإخلاص]، تنزه وتقدس عن ذلك كله.

(وَنَفَذَ حُكْمُهُ فِي جَمِيعِ اَلْعِبَادِ) كما قال عَلَيْهِ‌الصَّلَاةُ‌وَالسَّلَامُ في الدعاء المأثور «مَاضٍ فِي حُكْمِكَ»، (وَنَفَذَ حُكْمُهُ فِي جَمِيعِ اَلْعِبَادِ) لأنَّه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ له القدرة الشاملة والمشيئة النافذة؛ فما شاء كان، قوله نفذ حكمه في جميع العباد المراد بالحكم يعني: الكوني القدري، فما شاء كونًا وقدرًا كان كما شاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

(لَا تُمَثِّلُهُ اَلْعُقُولُ بِالتَّفْكِيرِ) مهما أعمل المرء فكره، وحرك ذهنه؛ فإن عقله وعموم العقول أعجز من أن تمثلهم، فالله عَزَّوَجَلَّ أعظم وأجل وأكبر، وكل ما تبلغه العقول تصورًا للكمال فالله أكمل من ذلك وأعظم، (لَا تُمَثِّلُهُ اَلْعُقُولُ بِالتَّفْكِيرِ).

(تُمَثِّلُهُ اَلْعُقُولُ) يعني: تتصور مثالا لكُنْه صفاته؛ فمهما أوتيت العقول من الفهم والمعرفة ونحو ذلك لا يمكن هي أعجز من أن تبلغ كُنْه صفاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

(وَلَا تَتوَهَّمُهُ اَلْقُلُوبُ بِالتَّصْوِيرِ)، يعني: مهما تصور القلب شيئا يظن أنَّه هو غاية الكمال اللائق بالله فالله عَزَّوَجَلَّ أعظم من ذلك، ويكفي في تقرير هذين الأمرين الذين ذكرهما بقوله (لَا تُمَثِّلُهُ اَلْعُقُولُ بِالتَّفْكِيرِ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ اَلْقُلُوبُ بِالتَّصْوِيرِ)، الكلمة التي هي من أربع كلمات أحب الكلام إلى الله كلمة (الله أكبر) أي: من كل شيء ومن ذلك أكبر من أن تتصور العقول، أو تبلغ العقول كُنْه صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١]، هذه الآية تعد أصلا في هذا الباب تعد أصلا ومرجعًا في هذا الباب؛ باب الأسماء والصفات، وقاعدة متينة فيه؛ لأن باب الأسماء والصفات يقوم على التنزيه والإثبات، تنزيه الله عن كل ما لا يليق به وإثبات الكمال له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١]، هذا تنزيه لله عَزَّوَجَلَّ عن كل ما لا يليق به، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١]، إثبات السمع والبصر، وفي إثبات السمع والبصر بعد نفي المثلية دليل على أنَّ إثبات الصفات لله على وجه يليق بجلاله وكماله لا يقتضي التمثيل.

(لَهُ اَلْأَسْمَاءُ اَلْحُسْنَى، وَالصِّفَاتُ اَلْعُلَا)، (لَهُ اَلْأَسْماءُ اَلْحُسْنَى) كما قال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الإسراء: ١١٠]، (لَهُ اَلْأَسْمَاءُ اَلْحُسْنَى) أي: البالغة في الحسن نهايته وكماله وغايته وتمامه.

(والصفات العلا) أي: الصفات العالية العظيمة ثابتة، نثبتها لله كما أثبتها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لنفسه وكما أثبتها له رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾ [طه: ٥-٧]، جمع في هذه الآية بين إثبات علو الله بذاته فوق عرشه مستويا عليه استواءًا يليق بجلاله وكماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، واحاطة علمه جَلَّ وَعَلَا بجميع المخلوقات، هو عَزَّوَجَلَّ مستو على عرشه المجيد، وهذه المخلوقات كلها ملك له، ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [طه:٦]، هذا كله ملك له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى طوع تدبيره وتسخيره جل في علاه، وعلمه محيط بكل هذه الكائنات ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾ [طه: ٧].

(أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا)، علمه وسع كل شيء وأحاط بكل شيء، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

(وَقَهَرَ كُلَّ مَخْلُوقٍ عِزَّةً وَحُكْمًا) وهو القاهر فوق عباده، (وَقَهَرَ كُلَّ مَخْلُوقٍ) جميع المخلوقات تحت قهره وطوع تدبيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحكمه فيهم نافذ مثل ما تقدم (وَنَفَذَ حُكْمُهُ فِي جَمِيعِ الْعِبَادِ).

(وَقَهَرَ كُلَّ مَخْلُوقٍ عِزَّةً وَحُكْمًا) عزة وقوة وغلبة، وحكما أي: تدبيرًا لهذ المخلوقات فحكمه فيهم نافذ.

(وَوَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا) فرحمته وسعت كل شيء حتى الدواب والبهائم وغيرها، رحمته وسعت كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعلمه أحاط بكل شيء لا تخفى عليه خافية ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠] علمه محيط بالعباد، علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى محيط بالعباد، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، والعباد أضعف وأقل شأنًا من أن يحيطوا علما به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠]، مثلها قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في آية الكرسي ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(مَوْصُوفٌ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وهذا تنبيه من المصنف أن باب الصفات توقيفي، إنَّما يوصف جَلَّ وَعَلَا بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسولهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يزاد على ذلك مثل ما قال الإمام أحمد: «نَصِفُ الله بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا نتجاوز القرآن والحديث».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ، أَوْ صَحَّ عَنِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ صِفَاتِ الرَّحْمَنِ وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهِ، وَتَلَقِّيهِ بِالتَّسْلِيمِ وَالْقَبُولِ، وَتَرْكُ التَّعَرُّضِ لَهُ بِالرَّدِّ وَالتَّأْوِيلِ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ، وَمَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ وَجَبَ إِثْبَاتُهُ لَفْظًا، وَتَرْكُ التَّعَرُّضِ لِمَعْنَاهُ، وَنَرُدُّ عِلْمَهُ إِلَى قَائِلِهِ، وَنَجْعَلُ عُهْدَتَهُ عَلَى نَاقِلِهِ، اتِّبَاعًا لِطَرِيقِ الرَّاسِخِينَ، الَّذِينَ أَثْنَى اللهُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ بِقَوْلِهِ – سبحانه–: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، وَقَالَ فِي ذَمِّ مُبْتَغِي التَّأْوِيلِ لِمُتَشَابِهِ تَنْزِيلِهِ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾، فَجَعَلَ ابْتِغَاءَ التَّأْوِيلِ عَلَامَةً عَلَى الزَّيْغِ، وَقَرَنَهُ بِابْتِغَاءِ الْفِتْنَةِ فِي الذَّمِّ، ثُمَّ حَجَبَهُمْ عَمَّا أَمَّلُوهُ وَقَطَعَ أَطْمَاعَهُمْ عَمَّا قَصَدُوهُ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالَى: (وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي اَلْقُرْآنِ، أَوْ صَحَّ عَنْ اَلْمُصْطَفَى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ صِفَاتِ اَلرَّحْمَنِ وَجَبَ اَلْإِيمَانُ بِهِ، وَتَلَقِّيهِ بِالتَّسْلِيمِ وَالْقَبُولِ) وهذه قاعدة لابد منها في الصفات وفي أمر الدين كله، من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النساء: ٦٥]، هذا هو الواجب، الواجب أن يتلقى المسلم كل ما جاء في القرآن، أو صح عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصفات بالتسليم قال :(وَكُلُّ مَا وَجَبَ وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي الْقُرآنِ أَوْ صَحَّ عَنْ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مِنْ صِفَاتِ اَلرَّحْمَنِ وَجَبَ اَلْإِيمَانُ بِهِ، وَتَلَقِّيهِ بِالتَّسْلِيمِ وَالْقَبُولِ)، وهذا التسليم هو صفة المؤمن، وعلامة الإيمان، المؤمن يسلم ويستسلم وينقاد ويقبل على ما جاء عن الله، ويتلقى كل ما جاء عن الله وعن رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإيمان والقبول.

قال (وَجَبَ اَلْإِيمَانُ بِهِ، وَتَلَقِّيهِ بِالتَّسْلِيمِ وَالْقَبُولِ، وَتَرْكُ اَلتَّعَرُّضِ لَهُ بِالرَّدِّ وَالتَّأْوِيلِ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ) هذه كلها مسالك باطلة تتنافى مع التسليم الواجب والقبول المطلوب من المسلم تجاه أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وصفاته، فالتعرض لها بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل هذا كله يتنافى مع التسليم والقبول.

أمَّا الرد فهو الانكار الرد، رد الصفات هو انكارها، وعدم قبولها، وعدم الإيمان بها، وجحدها، وتعطيلها، وهذا مسلك باطل، وهو من مسالك طائفة من المبتدعة أهل الضلال.

والتأويل أي: وترك التعرض لها بالتأويل، والتأويل هو: صرف نصوص الصفات عن معانيها الثابتة لها إلى معانٍ أخرى، يفعل ذلك بعض المبتدعة فرارا من شيء فيقعون فيما هو شر منه، فالتأويل في الصفات بصرفها عن معناها ومدلولها الثابت لها إلى معاني أخرى بعيدة متكلفة، فرارا من إثبات الصفة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الثابتة في النص.

قال: (وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ)، التمثيل هذه الَّلفظة هي التي وردت في القرآن قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۝١١﴾ [الشورى: ١١]، هي التي وردت في القرآن، وهي الأولى في أن تورد في مثل هذه المعتقدات، ويُكتفى بها؛ لأنها هي التي وردت في القرآن، وهي كافية في بيان المقصود قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۝١١﴾ [الشورى: ١١] فالله عَزَّ وَجَلَّ لا مثيل له ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۝١١﴾ منزه عن المثال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعَالَى: (وَمَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ وَجَبَ إِثْبَاتُهُ لَفظًا، وَتَرْكُ اَلتَّعَرُّضِ لِمَعْنَاهُ)، أي: من الصفات من نصوص الصفات (وَجَبَ إِثْبَاتُهُ لَفظًا وَتَرْكُ اَلتَّعَرُّضِ لِمَعْنَاهُ، وَنَرُدُّ عِلْمَهُ إِلَى قَائِلِهِ، وَنَجْعَلُ عُهْدَتَهُ عَلَى نَاقِلِهِ) ،(وَمَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ) ، ذلك: الإشارة هنا إلى نصوص الصفات وتقدم من قول المصنف أنَّ الواجب تجاه نصوص الصفات وتلقيها التسليم والقبول فيها كلها بالتسليم والقبول وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ (وَمَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ وَجَبَ إِثْبَاتُهُ لَفْظًا، وَتَرْكُ اَلتَّعَرُّضِ لِمَعْنَاهُ) قوله هذا هو في نفسه مشكل هو في نفسه مشكل هذا القول مما انتقد على ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى في هذا الكتاب وأخذ عليه لأنَّ هذا الكلام فيه نفس المفوضة لمعاني الصفات يعني: قد يلتمس له محمل أن يقال لعله يعني: أراد بالإشكال هنا الإشكال النسبي وليس المطلق يعني: ما أشكل في بعض النصوص في معانيها على بعض الناس يسلك فيما أشكل عليه هذا المنهج فيكون أراد الإشكال النسبي لا المطلق قد يحمل على هذا لكن أيضا سياق كلامه بتمامه لا يساعد على ذلك فقوله (وَمَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ وَجَبَ إِثْبَاتُهُ لَفْظًا، وَتَرْكُ اَلتَّعَرُّضِ لِمَعْنَاهُ) جميع نصوص الصفات جاءت محملة بمعاني هي أشرف المعاني وأجلها ولهذا قول السلف أمروها كما جاءت أمروها كما جاءت هي كيف جاءت؟ جاءت محملة بمعاني فإمرارها كما جاءت بإثبات معانيها فمن أمرها بدون أن مع ترك التعرض لمعناها فلم يمرها كما جاءت من أمرها كما ذكر المصنف وترك التعرض لمعناها لم يمرها كما جاءت إمرارها كما جاءت بإثبات المعنى الذي دلت عليه ولهذا قوله يعني: (وَمَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ وَجَبَ إِثْبَاتُهُ لَفْظًا، وَتَرْكُ اَلتَّعَرُّضِ لِمَعْنَاهُ) (وَمَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ) هذه كلمة واسعة جدًا من هو هذا الذي يشكل عليه؟ يعني ربما هؤلاء الذين تلوثوا شبه المعطلة نعم تشكل عليهم لأنَّهم متلوثين بشبه المعطلة فهل يقال لهم المسلك هو ترك التعرض لمعناها بل يقال يعالج هذا الخلل الذي في نفسه ويرجع إلى جادة أهل السنة التي لا إشكال فيها وجادتهما الواضحة البينة التي لا إشكال فيها وليس في نصوص الصفات ما هو مشكل لا يفهم معناه ليس في نصوص الصفات ما هو مشكل لا يفهم معناه بل لها معاني واضحة ومن أشكل عليه فهذا من نقصه في العلم لا لأمر عائد في النص وإذا كان الأمر كذلك لا يقال يترك التعرض للمعنى بل يجتهد في التعلم والتفقه ومراجعة أهل العلم من أهل السنة حتى يفهم المعنى المراد مع وجوب الحذر من الخوض في المعاني بالرأي القاصر والفكر الضعيف وليعلم أن الخطأ في أسماء الله وصفاته ليس كالخطأ في أي اسم آخر قال (وَتَرْكُ اَلتَّعَرُّضِ لِمَعْنَاهُ، وَنَرُدُّ عِلْمَهُ إِلَى قَائِلِهِ) أي: نفوض علم معناه إلى قائله وهذا مسلك المفوضة (وَنَرُدُّ عِلْمَهُ إِلَى قَائِلِهِ) مسلك يسلمون اللفظ ويفوضون المعنى وعندما يرد علمه إلى قائلة من فعل ذلك هل حصل منه إيمان بالصفة التي جاء النص محملا بها؟

الجواب لا وهذا مما يبين خطر هذا المسلك الذي هو مسلك المفوضه (وَنَرُدُّ عِلْمَهُ إِلَى قَائِلِهِ، وَنَجْعَلُ عُهْدَتَهُ عَلَى نَاقِلِهِ) قال (اِتِّبَاعًا لِطَرِيقِ اَلرَّاسِخِينَ فِي اَلْعِلْمِ، اَلَّذِينَ أَثْنَى اَللهُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ اَلْمُبِينِ بِقَوْلِهِ -سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ ﴾ [آل عمران: ٧]) قبلها قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾ [آل عمران: ٧]، وآيات الصفات لا تدخل في هذا ، آيات الصفات لها معاني واضحة ظاهرة بينة فهي غير داخلة في هذا قال (اِتِّبَاعًا لِطَرِيقِ اَلرَّاسِخِينَ فِي اَلْعِلْمِ، اَلَّذِينَ أَثْنَى اَللهُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ اَلْمُبِينِ بِقَوْلِهِ - سُبْحَانَهُوَتَعَالَى -: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، وَقَالَ فِي ذَمِّ مُبْتَغِي اَلتَّأْوِيلِ لِمُتَشَابِه تَنْزِيلِهِ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾، فَجَعَلَ اِبْتِغَاءَ اَلتَّأْوِيلِ عَلامَةً عَلَى اَلزَّيْغِ، وَقَرَنَهُ بِابْتِغَاءِ اَلْفِتْنَةِ فِي الذَّمِّ، ثُمَّ حَجَبَهُم عَمَّا أَمَّلُوْهُ وَقَطَعَ أَطْمَاعَهُم عَمَّا قَصَدُوْهُ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾).

قال اتباعا لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله - ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ ﴾ [آل عمران: ٧]، (وَقَالَ فِي ذَمِّ مُبْتَغِي اَلتَّأْوِيلِ لِمُتَشَابِه تَنْزِيلِهِ) ، ﴿ ...فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ...﴾ [آل عمران: ٧]

- فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ وقرنه بابتغاء الفتنة في الذَّم ثم حجبهم عمَّا أملوه وقطع أطماعهم عما قصدوه بقوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى:﴿ ... وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ...﴾ [آل عمران: ٧]، والذي يذكره رَحِمَهُٱللَّهُ تَعَالَى :هذا لا ينطبق على نصوص الصفات من حيث معانيها لكنَّه ينطبق على نصوص الصفات من حيث الكيفية ولهذا إذا أريد بالسياق الحقيقة والكيفية يجب الوقف على وما يعلم تأويله إلاَّ الله لكن المعنى والسياق يتحدث هنَّا عن المعنى لتستقيم به قراءة الوصل ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران: ٧]، ولهذا يؤثر عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أنَّه قال : «أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله» ، ومجاهد يقول« قرأت القرآن على ابن عباس آية آية، أقفه عند كل آية أسأله عن معناها».

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(قَالَ ٱلْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ رحمه الله فِي قَوْلِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «إِنَّ ٱللهَ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ ٱلدُّنْيَا» و «إِنَّ ٱللهَ يُرَى فِي ٱلْقِيَامَةِ» وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ ٱلْأَحَادِيثِ نُؤْمِنُ بِهَا، وَنُصَدِّقُ بِهَا، لَا كَيْفَ، وَلَا مَعْنَى، وَلَا نَرُدُّ شَيْئًا مِنْهَا، وَنَعْلَمُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ ٱلرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم حَقٌّ، وَلَا نَرُدُّ عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم، وَلَا نَصِفُ ٱللهَ بِأَكْثَرَ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، بِلَا حَدٍّ وَلَا غَايَةٍ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وَنَقُولُ كَمَا قَالَ، وَنَصِفُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، لَا نَتَعَدَّى ذَلِكَ، وَلَا يَبْلُغُهُ وَصْفُ ٱلْوَاصِفِينَ، نُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ كُلِّهُ مُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَلَا نُزِيلُ عَنْهُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ لِشَنَاعَةٍ شُنِّعَتْ، وَلَا نَتَعَدَّى ٱلْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ، وَلَا نَعْلَمُ كَيْفَ كُنْهُ ذَلِكَ إِلَّا بِتَصْدِيقِ ٱلرَّسُولِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَتَثْبِيتِ ٱلْقُرْآنِ).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

(قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «**إِنَّ ٱللهَ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ ٱلدُّنْيَا**» و «**إِنَّ ٱللهَ يُرَى فِي ٱلْقِيَامَةِ**» ، وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ ٱلْأَحَادِيثِ) أحاديث الصفات يعني كيف يصار مع هذه الأحاديث وكيف التعامل معها يقول الإمام أحمد« نؤمن بها لأنها جاءت عن الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى أن هو إلا وحي يوحى نؤمن بها ونصدق» بها **أي**: أنَّها حق لا ريب فيها وفي ثبوتها وثبوت ما دلت عليه من صفات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ تليق بجلاله وكماله (لَا كَيفَ، وَلَا مَعْنَى)، لَا كَيْفَ: هذا نفي للتكييف فالكيف مجهول لا يعلم ، فإن الله عَزَّوَجَلَّ أخبرنا بصفاته ولم يخبرنا بكيفياتها فنؤمن بالذي أخبرنا به ولا نخوض في ما لم يخبرنا به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ولهذا الخوض في التكييف باطل وضلال لا كيف ولا معنى، ولا معنى يقصد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى المعاني الباطلة التي يتكلفها أهل الباطل في نصوص الصفات ويحملونها عليها هذا باطل وهو المراد بقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى (وَلَا مَعْنَى)، (وَلَا نَرُدُّ شَيْئًا مِنْهَا) **أي**: لا نجحد شيء من صفات الله وننكرها بل نثبتها كلها ونؤمن بها ونعلم أن ما جاء به الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حق لأنَّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٤]، والله جَلَّوَعَلَا أمرنا بتلقي ما جاء به الرسول والأخذ به **قَالَ تَعَالَى**: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥]، (وَلَا نَرُدُّ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وهذه بلية قد يقع فيها بعض الناس يرد على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديثه حتى أن بعض الناس ربما تجرأ في بعض أحاديث الصفات وقال لا أقبل هذا، يكون ثابت صحيحًا عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم يقول لا أقبل هذا من أنت حتى تقول هذا الكلام؟ ولهذا من يقول هذه الكلمة لا أقبل هذا أو أرفض هذا الحديث هذا ما عرف نفسه (وَلَا نَصِفُ اللهَ بِأَكْثَرَ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، بِلَا حَدٍّ وَلَا غَايَةٍ) أي: لا نتجاوز في وصفنا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حد قول الله جَلَّ وَعَلَا ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١]، (وَنَقُولُ كَمَا قَالَ) أي: كما قال الله، (وَنَصِفُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، لَا نَتَعَدَّى ذَلِكَ) أي: لا نتجاوز كلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،(وَلَا يَبْلُغُهُ وَصْفُ الْوَاصِفِينَ) قوله رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى (وَلَا يَبْلُغُهُ وَصْفُ الْوَاصِفِينَ) هذا نظير ما تقدم عند المصنف (لَا تُمَثِّلُهُ الْعُقُولُ بِالتَّفْكِيرِ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْقُلُوبُ بِالتَّصْوِيرِ)، (وَلَا يَبْلُغُهُ وَصْفُ الْوَاصِفِينَ) يعني مهما تكلف الواصفون ذكر حد وغاية لصفة الله فعقولهم أعجز من أن تبلغ ذلك (نُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ كُلِّهُ مُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ) كما تقدم في الآية ﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ ﴾ [آل عمران: ٧]، (وَلَا نُزِيلُ عَنْهُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ لِشَنَاعَةٍ شُنِّعَتْ) (وَلَا نُزِيلُ عَنْهُ صِفَةً مِنْ) يعني: بعض الناس قد يزعزعه في عقيدته تشنيع أهل الباطل لأنَّ أهل الباطل يأتون أحيانا بألفاظ يقصدون بها التشنيع على أهل الحق فقد توجد في من هو ضعيف شيء من الخلل فيقول الإمام أحمد «لا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت» يعني: مهما قال أهل الباطل هذا لا يغيرشيئًا في الواجب تجاه صفات الله أن تثبت وأن يؤمن بها (وَلَا نَتَعَدَّى الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ) حاصل قول الإمام أحمد« أن الواجب على المسلم أن يصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يتجاوز القرآن والحديث» قال (وَلَا نَعْلَمُ كَيْفَ كُنْهُ ذَلِكَ إِلَّا بِتَصْدِيقِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَثْبِيتِ الْقُرْآنِ) أما الكيفية فتفوض إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الله عَزَّ وَجَلَّ العليم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تفوض إليه ولا يخاض فيها والكيف مجهول لا سبيل إلى العلم به .

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

(قَالَ ٱلْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ؛ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ ٱلشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : آمَنْتُ بِاللهِ وَبِمَا جَاءَ عَنَ ٱللهِ عَلَى مُرَادِ ٱللهُ، وَآمَنْتُ بِرَسُولِ ٱللهِ، وَبِمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ، عَلَى مُرَادِ رَسُولِ ٱللهِ..)

هذا نقل عن الإمام الشافعي نقل أولاً عن الإمام أحمد ثم نقل عن الإمام الشافعي كل هذه النقول مراده إيرادها بيان الجادة التي عليها أهل السنة تجاه أسماء الله وصفاته تجاه نصوص الصفات فالشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول (آمَنْتُ بِاللهِ وَبِمَا جَاءَ عَنَ ٱللهِ عَلَى مُرَادِ ٱللهُ، وَآمَنْتُ بِرَسُولِ ٱللهِ، وَبِمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ، عَلَى مُرَادِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وهذا نظير ما تقدم عن الإمام أحمد نصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا نتجاوز القرآن والحديث وهذا فيه أن نصوص الصفات توقيفية لا يتجاوز فيها المسلم كتاب الله وسنة رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يؤمن بما جاء بما جاء عن الله على مراده سبحانه وبما جاء عن رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مراد رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

(وَعَلَى هَذَا دَرَجَ ٱلسَّلَفُ، وَأَئِمَّةُ ٱلْخَلَفِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى ٱلْإِقْرَارِ وَالْإِمْرَارِ وَالْإِثْبَاتِ لِمَا وَرَدَ مِنَ ٱلصِّفَاتِ فِي كِتَابِ ٱللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِتَأْوِيلِهِ، وَقَدْ أُمِرْنَا بِالِاقْتِفَاءِ لِآثَارِهِمْ، وَالِاهْتِدَاءِ بِمَنَارِهِمْ، وَحُذِّرْنَا ٱلْمُحْدَثَاتِ، وَأُخْبِرْنَا أَنَّهَا مِنْ ٱلضَّلَالَاتِ، فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ ٱلْخُلَفَاءِ ٱلرَّاشِدِينَ ٱلْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ ٱلْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ»).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

(مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِتَأْوِيلِهِ) أي: التأويلات الباطلة التي هي تحريف لنصوص الصفات وصرف لها عن معانيها.

(وَقَدْ أُمِرْنَا بِالِاقْتِفَاءِ لِآثَارِهِمْ، وَالِاهْتِدَاءِ بِمَنَارِهِمْ، وَحُذِّرْنَا ٱلْمُحْدَثَاتِ، وَأُخْبِرْنَا أَنَّهَا مِنْ ٱلضَّلَالَاتِ) (أُمِرْنَا بِالِاقْتِفَاءِ لِآثَارِهِمْ) أي: آثار السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠]

فنحن أمرنا بالاتباع والاقتفاء لآثار السلف والاهتداء بهديهم والسير على منوالهم، وحذرنا من المحدثات جاءت نصوص كثيرة للتحذير من البدع وأخبرنا أنها **أي**: المحدثات ضلالات قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

:«عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ اَلْخُلَفَاءِ اَلرَّاشِدِينَ اَلْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ اَلْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

هذا الحديث جمع المعاني التي ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي هو الأمر بالاقتفاء لآثار السلف والتحذير من المحدثات والأخبار بأنَّها ضلالات قال (وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ») يعني: جاء في النصوص والمأثور عن السلف ما فيه الكفاية والشفاء والهداية إلى كل خير فما حاجة الإنسان إلى البدع وقد كفي ولهذا من أخذ بهذا الذي كفي فيه هدي إلى صراط مستقيم وانفتح على نفسه باب البدعة ضل عن سواء السبيل قال «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ» ويؤثر عنه أيضا أنه يقول: "إنا نقتدي ولا نبتدي ونتبع ولا نبتدع ولن نظل ما تمسكنا بالأثر".

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

(وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كَلَامًا مَعْنَاهُ: (قِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ، فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا، وَهُمْ عَلَى كَشْفِهَا كَانُوا أَقْوَى، وَبِالْفَضْلِ لَوْ كَانَ فِيهَا أَحْرَى، فَلَئِنْ قُلْتُمْ: حَدَثَ بَعْدَهُمْ، فَمَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنْ خَالَفَ هَدْيَهُمْ، وَرَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِمْ، وَلَقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، وَتَكَلَّمُوا مِنْهُ بِمَا يَكْفِي، فَمَا فَوْقَهُمْ مُحَسِّرٌ، وَمَا دُونَهُمْ مُقَصِّرٌ، لَقَدْ قَصَّرَ عَنْهُمْ قَوْمٌ فَجَفَوْا، وَتَجَاوَزَهُمْ آخَرُونَ فَغَلَوْا، وَإِنَّهُمْ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ).

نعم هذه كلمة عظيمة نقلها عن عن عمر الخليفة عمر بن عبد العزيز رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهي كلمة عظيمة حوت على معاني جليلة في المنهج الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم اتباعًا للسلف وسيرًا على منهاجهم وترسما لخطاهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ورحمهم ولعل الكلام على معاني هذا الأثر يؤجل إلى لقاء الغد بإذن الله سبحانه نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علمًا وتوفيقًا وأن يصلح لنا شأننا كله وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير والموت راحة لنا من كل شر اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولولاة أمرنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات إنَّك أنت الغفور الرحيم سبحانك اللَّهم وبحمدك أشهد أنَّ لا إله إلَّا أنت أستغفرك وأتوب إليك اللهم صلي وسلم على عبدك ورسولك نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين جزاكم الله خيرا.

الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أنَّ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله اللهم صلي وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين أما بعد نواصل قراءتنا في هذا الكتاب كتاب «لمعة الاعتقاد» الهادي إلى سبيل الرشاد للإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللمسلمين والمسلمات أما بعد:

فيقول الشيخ موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «لمعة الاعتقاد»:

(وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- كَلَامًا مَعْنَاهُ: (قِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ، فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا، وَهُمْ عَلَى كَشْفِهَا كَانُوا أَقْوَى، وَبِالْفَضْلِ لَوْ كَانَ فِيهَا أَحْرَى، فَلَئِنْ قُلْتُمْ: حَدَثَ بَعْدَهُمْ، فَمَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنْ خَالَفَ هَدْيَهُمْ، وَرَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِمْ، وَلَقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، وَتَكَلَّمُوا مِنْهُ بِمَا يَكْفِي، فَمَا فَوْقَهُمْ مُحَسِّرٌ، وَمَا دُونَهُمْ مُقَصِّرٌ، لَقَدْ قَصَّرَ عَنْهُمْ قَوْمٌ فَجَفَوْا، وَتَجَاوَزَهُمْ آخَرُونَ فَغَلَوْا، وَإِنَّهُمْ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ).

هذا الأثر العظيم المروي عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى تضمن قواعد عظيمة ومهمة في باب الاتباع للسلف والاقتفاء لآثارهم كما تقدم في الأثر الذي قبله عن ابن مسعود قال: (اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ) هذا الأثر عن عمر هو **بمعنى** الذي قبله، لكنه قرره بذكر بعض المعاني العظيمة والقواعد المهمة المفيدة في هذا الباب، بدأه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: (قِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ) أي: يا طالب الحق ويا طالب الهدى والرشاد حيث وقف القوم أي: الصحابة ومن اتبعهم بإحسان؛ فإنك إذا وقفت حيث وقفوا وسرت حيث ساروا، هديت إلى صراط مستقيم ومن تكلف أمورا لم يكن عليها السلف الصالح ظل عن سواء السبيل قال: (قِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ، فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا) إذا دخلت في مسائل وأبحاث ليس لك فيها

إمام من هؤلاء، وليس لك فيها قدوة، الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: لا تقل أو لا تتكلم في شيء ليس لك فيه إمام يعني من السلف فإذا دخل المرء في مسائل ليس له فيها إمام لا يحسب أن هذا الذي دخل فيه وليس له سلف ولا قدوة من الصحابة ومن اتبعهم بإحسان أنَّه من باب الفتوحات بل هذا من الزلل لأنَّ الصحابة ومن اتبعهم بإحسان لما وقفوا عن هذا الذي خاض فيه من بعدهم لم يقفوا عن عجز عن الخوض فيه وعدم قدرة وإنَّما وقفوا عن علم بأن الخوض فيه مضرة على الإنسان (فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا) والمراد بالبصر هنا البصيرة أعطاهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بصيرة حجزتهم عن ما خاض فيه من جاء بعدهم ولهم على كشفها كانوا أقوى أي كانوا متمكنين في العلم والفهم والدراية والذكاء والفطنة (وَلهُمْ عَلَى كَشْفِهَا كَانُوا أَقْوَى، وَبِالْفَضْلِ لَوْ كَانَ فِيهَا أَحْرَى) لو كان في الخوض في هذه الأمور فضل وتحصيله خير هم أحرى به وأولى ممن جاء بعدهم لما قرر ذلك أورد كلاما قد يورده أحد اعتراضا على ما سبق قال: (فَلَئِنْ قُلْتُمْ: حَدَثَ بَعْدَهُمْ) يعني: هذه أشياء وجدت بعدهم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مجيبا: (فَمَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنْ خَالَفَ هَدْيَهُمْ، وَرَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِمْ)ومن خالف هديهم ورغب عن سنتهم ما حصّل خيرًا ولهذا عبد الله بن مسعود لما وقف على الجماعة الذين كانوا في المسجد ويذكرون الله عَزَّوَجَلَّ بطريقة غير مشروعة غير مأثورة خيرهم بين أمرين قال: (لقد جئتم ببدعة ظلما أو فقتم أصحاب محمد علما) فهل يقول من جاء بعد الصحابة أنه فاق الصحابة في العلم؟ هل يقول من جاء بعد الصحابة أنَّه فاقهم في العلم ؟وقد قال ذلك أقوام من خاضوا في الكلام الباطل ودخلوا في التأويلات في صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عدوا طريقتهم أعلم وأحكم وطريقة السلف الذين هم الصحابة ومن اتبعهم بإحسان أسلم فعدوا أنفسهم فيما وصلوا إليه أعلم أي من السلف الصحابة ومن اتبعهم بإحسان قال:(فَمَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنْ خَالَفَ هَدْيَهُمْ، وَرَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِمْ، وَلَقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، وَتَكَلَّمُوا مِنْهُ بِمَا يَكْفِي) **يعني** أمور الدين وأصوله وما يتعلق بأسماء الله وصفاته بينوا ما يكفي ووصفوا منه ما يشفي (فَمَا فَوْقَهُمْ مُحَسِّرٌ، وَمَا دُونَهُمْ مُقَصِّرٌ) (فَمَا فَوْقَهُمْ) أي: من تجاوز الحد وغلا هذا محسر **يعني** متجاوز إلى الحد بغلوه (وَمَا دُونَهُمْ) من كان جافيًا ، مفرطا فهذا مقصر،و الناس أقسام ثلاثة غلاةٌ وجفاةٌ ووسط وخيار الأمور أوساطها لا تفريطها ولا إفراطها (فَمَا فَوْقَهُمْ مُحَسِّرٌ، وَمَا دُونَهُمْ مُقَصِّرٌ) ، لقد قصر يظهر لي أن هكذا تم ضبطها (لَقَدْ قَصَّرَ عَنْهُمْ قَوْمٌ فَجَفَوْا)، قصروا عن هدي الصحابة فَجَفَوْا أي وقعوا في الجفاء (وَتَجَاوَزَهُمْ آخَرُونَ فَغَلَوْا)، قسم قصر عن هدي الصحابة فكان جافيًا وقسم تجاوز حد الذي كان عليه الصحابة فكان غاليًا وخيار الناس من لزم غرزهم ونهج نهجهم (وَإِنَّهُمْ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ) أي الغلو والجفاء والإفراط والتفريط (لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:(عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ وَإِنْ زَخْرَفُوهُ لَكَ بِالْقَوْلِ).

قال أبو عمر الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ) أي: إلزمها وتمسك بها وحافظ عليها وكن متبعا (وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ) أي وإن لم يقبل الناس طريقتك أو عابوا مسلكك فإنَّك لا تزال على خير ما دمت متبعا للأثر وإن المرء على طريق قويم ما دام متمسكا بالأثر فيوصي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بلزوم آثار السلف واتباع هديهم (وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ) أي وإن ذموك وعابوك وحطوا من شأنك لا تبالي بذلك (وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ) والمراد (بِالآرَاءَ)أي الآراء التي ترد بها النصوص ، الآراء التي تحدث بها البدع، الآراء التي يزين بها الباطل فيجب على المسلم أن يكون على حذر من هذه الآراء (وَإِنْ زَخْرَفُوهُ لَكَ بِالْقَوْلِ) لأنَّ صاحب الباطل لا بد أن يزخرف باطله بالقول حتى يقبل ،الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[الأنعام: ١١٢]

وهذا المعنى الذي يذكره الأوزاعي مستمد من هذه الآية إياك مثل ما قال الله: ﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٢]، (وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ،وَإِنْ زَخْرَفُوهُ لَكَ بِالْقَوْلِ)إن زين باطله بزخرف قوله وتنميق عبارته وتزيين كلامه لا تغتر وكم من أناس يغترون بزخرف القول فيقعون في فخاخ أهل البدع والأهواء والضلالات .

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَذْرَمِيُّ لِرَجُلٍ تَكَلَّمَ بِبِدْعَةٍ وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهَا: أخبرني عن مقالتك هذه هَلْ عَلِمَهَا رَسُولُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ؛ أَوْ لَمْ يَعْلَمُوهَا؟ قَالَ: لَمْ يَعْلَمُوهَا. قَالَ: فَشَيْءٌ لَمْ يَعْلَمْهُ هَؤُلَاءِ عَلِمْتَهُ أَنْتَ؟ قَالَ الرَّجُلُ: فَإِنِّي أَقُولُ قَدْ عَلِمُوهَا. قَالَ: أَفَوَسِعَهُمْ أَلَّا يَتَكَلَّمُوا بِهِ، وَلَا يَدْعُوا النَّاسَ إِلَيْهِ أَمْ لَمْ يَسَعْهُمْ؟ قَالَ: بَلَ وَسِعَهُمْ، قَالَ: فَشَيْءٌ وَسِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُلَفَاءَهُ، لَا يَسَعُكَ أَنْتَ؟ فَانْقَطَعَ الرَّجُلُ، فَقَالَ الْخَلِيفَةُ -وَكَانَ حَاضِرًا لَا وَسَّعَ اللهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَسَعْهُ مَا وَسِعَهُمْ).

ثم أورد هذه المناظرة وهي مناظرة حصلت في مجلس الواثق بالله بن المعتصم بالله وكانت موضوع هذه المناظرة هو مسألة خلق القرآن وهذه الفتنة فتنة خلق القرآن كما لا يخفى استمرت عبر ولاية ثلاثة من الولاة العباسيين ، والمأمون وأخوه المعتصم والواثق ابن المعتصم استمرت بضع عشرة سنة في ولاية هؤلاء بدأت في ولاية المأمون ثم المعتصم ثم الواثق وفي كل هذه الولايات شدد على الناس وعلى أهل العلم وعلى القضاة

حتى بعضهم مثل الواثق ذكر أنَّه حتى ألزم الكتاتيب في الصبيان يلقن الأطفال هذه العقيدة فالحاصل أنَّ الواثق بالله حصل في مجلسه هذه المناظرة بين هذا الرجل محمد بن عبد الرحمن و رجل من المعتزلة لم يسمى هنا وهو أحمد بن أبي دؤاد لما تكلم في بدعة خلق القرآن وطلب هذا الشيخ المناظرة مناظرة أحمد في مجلس الواثق فبدأ هو يخاطب ابن أبي دؤاد قال له :(هذا الذي تقول وتدعو إليه من القول بخلق القرآن هل هذا أمر علمه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أو لم يعلموه قال: لم يعلموه)وهذي أيضا ماذا؟ هذه مصيبة **يعني** عنده من الدين شيء لم يعلمه الرسول ولا علمه أبو بكر ولا علمه عمر ولا علمه عثمان ولا علمه علي والإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ له كلمة جميلة في هذا الباب يقول: (ما لم يكن دينا زمن محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أصحابه فلن يكون دينا إلى قيام الساعة). الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ٣ ﴾ [المائدة: ٣].

قال لم يعلموه قَالَ: (فَشَيْءٌ لَمْ يَعْلَمْهُ هَؤُلَاءِ عَلِمْتَهُ أَنْتَ؟)،فقال الرجل: أقمني من هذه، أعطني واحدة أخرى هذه أقمني منها فقال له أعطاه واحدة أخرى قال: (فَإِنِّي أَقُولُ قَدْ عَلِمُوهَا)، (قَالَ: أَفَوسِعَهُمْ أَلَّا يَتَكَلَّمُوا بِها) عندهم علم بها ووسعهم أن لا يتكلموا بها (وَلَا يَدْعُوا النَّاسَ إِلَيْهِ أَمْ لَمْ يَسَعْهُمْ)، إن قال تكلموا بها يقول أعطني من دواوين السنة المحفوظة ما يدل على أنهم تكلموا بها وهذا لا يجد له سبيلا وإن قال لم يتكلموا بها (قَالَ: أَفَوَسِعَهُمْ أَلَّا يَتَكَلَّمُوا بِهِ، وَلَا يَدْعُوا النَّاسَ إِلَيْهِ أَمْ لَمْ يَسَعْهُمْ؟ قَالَ: بَلَ وَسِعَهُمْ، قَالَ: فَشَيْءٌ وَسِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَخُلَفَاءَهُ، لَا يَسَعُكَ أَنْتَ؟) لا يسعك ما وسع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلم وصحابته الكرام (فَانْقَطَعَ الرَّجُلُ فَقَالَ الْخَلِيفَةُ الْوَاثِقْ وَكَانَ حَاضِرًا لَا وَسَّعَ اللهُ) هذا كلام عظيم جدًا (عَلَى مَنْ لَمْ يَسَعْهُ مَا وَسِعَهُمْ) يذكر في كتب «الأخبار» أن الواثق بعد هذه المناظرة طفئت جمرته في هذا الأمر في الفتن وخفت وطأته بل يقال أنه رجع وولي بعد وفاة الواثق، المتوكل وولي المتوكل وكان صاحب سنة وكان الفرج جعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على يديه جعل الله عَزَّوَجَلَّ الفرج على يديه فنصرت في السنة وقمعت هذه البدعة وغيرها من البدع والضلالات ثم يقول ابن قدامة معلقا على هذا الخبر أو هذه المناظرة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَهَكَذَا مَنْ لَمْ يَسَعْهُ مَا وَسِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَالْأَئِمَّةَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَالرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ؛ مِنْ تِلَاوَةِ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَقِرَاءَةِ أَخْبَارِهَا وَإِمْرَارِهَا كَمَا جَاءَتْ؛ فَلَا وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ).

نعم من لم يسعه ويكفيه ما كان عليه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والصحابة ومن اتبعهم بإحسان والأئمة من بعدهم الراسخين في العلم من تلاوتهم للآيات وقراءتهم الأخبار وامرارهم لها كما جاءت والإيمان بها كما وردت بإثباتها واثبات معانيها ودلالاتها وهدايتها من لم يسعه فلا وسع الله عليه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

(فِمِمَّا جَاءَ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[الرحمن: ٢٧]، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وَقَوْلُهُ تَعَالَى إِخْبَاراً عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقَوْلُهُ تعَالَى ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقَوْلُهُ تعَالَى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقَوْلُهُ تَعَالَى فِي الكُفَّارِ ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾[المجادلة: ١٤]، وقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [محمد: ٢٨]، وقَوْلُهُ تعَالَى ﴿ كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ ﴿٤٦﴾ ﴾ [التوبة: ٤٦])

هذه جملة أوردها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى جملة من آيات الصفات قال (فَمِمَّا جَاءَ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ) وأورد هذه الآيات مقتصرا عليها وهي ترشد إلى ما سواها فهذه أمثلة وذكرها على نوعين بدأ أولًا بآيات مشتملة على صفات ذاتية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ثم أتبعها بذكر آيات تدل على صفات فعلية مشيرا بذلك أن الواجب على المسلم أن يؤمن بكل صفات الله الذاتية والفعلية الواردة في كتابه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهذه الآيات تعد نموذجًا ومثالا لها ترشد إلى غيرها من الآيات ولهذا قال (فَمِمَّا جَاءَ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ) قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[الرحمن: ٢٧]، هذه الآية فيها اثبات الوجه صفة لله عَزَّوَجَلَّ وهي صفة ثابتة في الكتاب والسنة ثابتة في كتاب الله وفي سنة نبيه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه و في الحديث يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «**حِجَابُهُ اَلنُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**» سبحات الوجه ضياءه وبهائه وجماله وحسنه قال ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[الرحمن: ٢٧] أضاف الوجه إلى الذات قال ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾[الرحمن: ٢٧]،أضاف الوجه إلى الذات وأضاف النعت إلى الوجه لأنه قال ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ ﴾ [الرحمن: ٢٧] أضاف النعت إلى الوجه فدل على أن الوجه صفة للذات هذا صريح في الدلالة على ذلك الحاصل أن هذه الآيات الكريمة فيها اثبات الوجه لله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله ومن يؤمن بهذه الصفة على الوجه

اللائق بجلال الله وأن له وجه « لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» من يؤمن بوجه الله وأيضا ما جاء في الكتاب والسنة من ذكر أوصاف الوجه لله قال ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[الرحمن: ٢٧] هذه الصفات لما يؤمن بها المؤمن يكون من أكبر مطامعه الطمع بأن يكرمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ برؤية وجهه الكريم الذي هو أعظم النعيم وكان من دعاء نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكُ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةَ مِظَلَّةٍ» وفي «صحيح مسلم»، قال من حديث تميم قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ اللهُ هَلْ تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَم تُبَيِّض وُجُوهُنَا ؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ؟ أَلَمْ تُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ ؟ قَالَ فَيُكْشَفُ الْحِجَابْ فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى الله عَزَّوَجَلَّ) يكشف الحجاب مثل ما في الحديث الآخر « لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ » فالحاصل أن الوجه من صفات الله عَزَّوَجَلَّ وهو صفة ذاتية ثابتة لله جَلَّ وَعَلَا تليق بجلاله وكماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومن الصفات الذاتية اليدان قد دل عليهما القرآن والسنة من أدلة القرآن هذه الآية ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقوله تَعَالَى﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] وفي الحديث يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يَمِينَ اللهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةُ سَحَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارْ وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع» بيده الأخرى: فهذا فيه اثبات هذه فيها النصوص إثبات اليدين لله عَزَّوَجَلَّ على وجه يليق بجلال الله وكماله وجاء في القرآن والسنة نصوص كثيرة فيها ذكر أوصاف ليد الله مثل الأخذ والعطاء والقبض والبسط والأصابع أظنها تصل فيما ذكره ابن القيم في الصواعق إلى ما يقارب مئة صفة كلها تؤكد أنها يد حقيقية تليق بجلال الله وكماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإذا قرأ المسلم ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] وقرأ الحديث « يَمِينَ اللهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةُ سَحَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارْ » يكرمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بهذه العقيدة الصحيحة الإيمان بثبوت اليدين لله وما يتبع ذلك من العطاء الواسع والمن العظيم والفضل الجزيل فيدفعه إلى ماذا؟ إلى الإقبال على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيكون مقبلا بقلبه رجاءا وبلسانه سؤالا وبجوارحه سعيا في طلب الرزق ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥] وكان من دعاء نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكُ عِلْمًا نَافِعًا وَرِزْقًا طَيِّبًا» فيقبل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو يؤمن بأن يدي الله عَزَّوَجَلَّ مبسوطتان بالعطاء ويمينه ملأى لا يغيظها نفقة سحاء الليل والنهارقال (وَقَوْلُهُ تَعَالَى إِخْبَاراً عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦])، الشاهد من الآية قوله ﴿ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة: ١١٦]، والمراد

بقوله ﴿ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ أي: ذات الله الموصوفة بالصفات الثابتة أي ذات الله الموصوفة بالصفات الثابتة له سُبْحَانَهُوَتَعَالَى ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية وقد ذكر آيات منها هذه الآية وآيات بالمعنى نفسه قال فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء الله نفسه التي هي ذاته المتصفة بصفاته ليس المراد بها ذاتا منفكة عن الصفات ولا المراد بها صفة للذات وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات طائفة يقول ابن تيمية وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات كما يظن طائفة أنهَّا الذات المجردة عن الصفات وكلا القولين خطأ قال وقوله ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر: ٢٢] ربك هذه الآية وما بعدها كلها في الصفات الفعلية ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر: ٢٢] وهذا فيه إثبات المجيء ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفجر: ٢٢- ٢٣] وفي الآية الأخرى التي بعدها قال ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [البقرة: ٢١٠]، فهذا المجيء المذكور في الآية هو مجيء الله وإتيانه يوم القيامة للفصل بين العباد بعد أن يبقى الناس في عرصات يوم القيامة ،يوما مقداره خمسين ألف سنة كما جاء في ذلك الحديث ويصيب الناس من العياء والتعب والنصب ما يصيبهم فيفزعون إلى الأنبياء يطلبون منهم الشفاعة عند الله فيذهبون إلى آدم ويعتذر ويحيلهم إلى نوح فيعتذر ويحيلهم إلى إبراهيم فيعتذر ويحيلهم إلى موسى فيعتذر ويحيلهم إلى عيسى فيعتذر ويحيلهم إلى محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيقول« أَنَا لَهَا» ثم يخر ساجدا تحت عرش الرحمن ويحمد الله بمحامد يعلمه الله اياها في ذلك الوقت ثم يقول الله له ارفع رأسك وسل تعطى واشفع تشفع وهذا المقام المحمود الذي قال الله عَزَّوَجَلَّ فيه﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩].

يغبطه عليها الأولون والآخرون فعلى أثر هذه الشفاعة العظمى يأتي الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ للفصل بين العباد مجيئا واتيانا يليق بجلاله وكماله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وجاء في بعض الآيات التي ذكر فيها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مجيئه جاء تقسيم يمنع خوض الخائضين في هذا المجيء بالتأويل لأن بعضهم يقول ﴿ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾[الرحمن: ٢٧]، أي أمره فجاء في سورة الأنعام في آخرها ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨] هذا التنويع والتقسيم يمنع مثل هذه الدعاوى الفجة فالإتيان هو اتيان الله واتيانه اتيان يليق بجلاله وكماله عظمته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ثم أورد قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ﴾ [المائدة: ١١٩].

وهذا فيه اثبات الرضا صفة لله عَزَّوَجَلَّ وأنَّه يرضى عن أوليائه وأتباع دينه والمهتدين بهداه السائرين على صراطه المستقيم كما يأتي ذلك في آيات كثيرة يخبر فيها عن رضاه عن المؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقوله تَعَالَى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وهذا فيه اثبات المحبة صفة لله وفي القرآن آيات كثيرة فيها اثبات هذه الصفة لاحظ الآية ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] أثبت لهم الرضا وأثبت لنفسه وهنا أثبت لهم المحبة وأثبتها لنفسه لكن المضاف إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يخصه ويليق بجلاله والمضاف إلى المخلوق يخصهم ويليق بحالهم، والإضافة تقتضي التخصيص، فما يضاف إلى الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ فهو وصف ليس كمثله وصف، على ما جاء في الآية الكريمة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقوله تَعَالَى في الكفار ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المجادلة: ١٤]، وقوله تَعَالَى ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمد: ٢٨] وقوله تَعَالَى ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]. فهذه كلها من الصفات الفعلية الغضب والسخط والكره وهي صفات ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ أثبتها لنفسه في كتابه فنؤمن بها كما جاءت ونثبتها لله كما أثبتها لنفسه ونمرها كما وردت ولا نخوض فيها بتأويل أو تحريف أو تعطيل أو غير ذلك من المسالك الباطلة التي سلكها أهل الضلال.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

(وَمِنَ اَلسُّنَّةِ، قَوْلُ اَلنَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ اَلدُّنْيَا» وَقَوْلُهُ «يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ اَلشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ» وَقَوْلُهُ: «يَضْحَكُ اَللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ قَتَلَ أَحَدُهُمَا اَلْآخَرَ ثُمَّ يَدْخُلَانِ اَلْجَنَّةَ»، فَهَذَا وَمَا أَشْبَهُهُ مِمَّا صَحَّ سَنَدُهُ، وَعُدِّلَتْ رُوَاتُهُ، نُؤْمِنُ بِهِ، وَلَا نَرُدُّهُ، وَلَا نَجْحَدُهُ، وَلَا نَتَأَوَّلُهُ بِتَأْوِيلٍ يُخَالِفُ ظَاهِرَهُ، وَلَا نُشَبِّهُهُ بِصِفَاتِ اَلْمَخْلُوقِينَ، وَلَا بِسِمَاتِ اَلْمُحْدَثِينَ، وَنَعْلَمُ أَنَّ اَللهَ – سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ– لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وَكُلُّ مَا تُخِيِّلَ فِي الذِّهْنِ أَوْ خَطَرَ بِالبَالِ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى بِخِلَافِهِ فالله تعالى على خلافه)

نعم أورد هنا بعض الأحاديث وأيضا سيأتي أحاديث أخرى في باب الصفات صفات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وأتبعها ببيان الطريقة والجادة التي يكون عليها المسلم تجاه أحاديث الصفات الثابتة لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰالحديث الأول «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ اَلدُّنْيَا» هذا فيه إثبات صفة النزول وحديث النزول كما بين أئمة العلم حديث متواتر تواتر نقله عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رواه عن النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ جمع غفير من أصحابه

وهذا يفيد أن النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال ذلك غير مرة (يَنزِلُ رَبُّنَا) ، وكل مرة يقول (يَنزِلُ رَبُّنَا) يضيف النزول إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى والصحابة تلقوا ذلك بالقبول وأخذه عنهم التابعون لهم بإحسان متلقين له بالقبول(يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ اَلدُّنْيَا) ومضى الأمر على هذا النهج الصحابة تلقوه بالقبول وآمنوا مثبتين نزول الله على وجه يليق بجلاله ثم جاء من بعدهم التابعين وتلقوا ذلك بالقبول وهكذا أتباعهم إلى أن وجدت بدعة الكلام فردت بها هذه الصفة وغيرها من صفات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى بتأويلات متكلفة باطلة ما أنزل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى بها من سلطان وأهل هذه التأويلات حالهم كما تقدم (لَمْ يَسَعْهُ مَا وَسِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابَهُ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ)، (يَنزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ اَلدُّنْيَا) **يعني** في الثلث الليل الآخر بعض المتكلفين من أهل الكلام يقولون ثمة حذف هنا وثمة محذوف مقدر فقوله (يَنْزِلُ رَبُّنَا) قالوا **أي** ملك ربنا ملك ربنا وبعضهم قالوا أمر ربنا سبحان الله التأويلات هذه يكفي قراءة الحديث على تمامه لإبطالها الآن لو قرأ القارئ الحديث على مذهب هؤلاء ينزل ملك ربنا ، على قولهم كل ليلة إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الآخر ويقول من يسألني من يدعوني من يستغفرني على قولهم يكون الملك جعل نفسه معبودا وندا وهذا لا يقوله عاقل وفي بعض روايات الحديث يقول (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر فيقول لا أسأل عن عبادي أحدا غيري) فهل هذا الملك أيضا الذي ينزل على دعواهم يقول هذا فقراءة الحديث نفسه كافي في إبطال مثل هذه التأويلات فالحديث فيه اثبات النزول لله كل ليلة إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الآخر ثم هذه العقيدة التي اعتقدها الصحابة وآمنوا بها لها ثمرة ثمرة عظيمة من يتكلف تأويل هذه الصفة تفوته هذه الثمرة ويفوته بركة هذا الحديث ،ثمرة الحديث ما هي؟ ثمرة هذا الإيمان وثمرة هذه العقيدة أن يكون للمرء نصيب من ثلث الليل الآخر الذي وقت النزول الإلهي وقت يرجى فيه أو من أرجى أوقات إجابة الدعاء فيكون للمرء نصيب منه ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧]، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[الذاريات: ١٨] فيكون له نصيب من ذلك الوقت يدعو ويسأل ويستغفر ثم أورد الحديث الثاني قال (يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنَ اَلشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ) وهذا حديث حسن«يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنَ اَلشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ» هذا فيه اثبات العجب صفه لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى وفيها أحاديث كثيرة في «الصحيحين وغيرها » قصة الأنصاري مع زوجه لما أخذوا ضيف النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأطفأوا السراج وكان طعامهم قليل وأوهموا الضيف أنَّهم يأكلان معه وتركوا الضيافة له كلها فلما جاء إلى النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال له النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ :« عَجِبَ اَللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اَللَّيْلَةَ » هذا حديث في «صحيح مسلم» وجاء في «الصحيحين» وغيرهما أحاديث عديدة

فيهما إثبات هذه الصفة هنا في هذا الحديث يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «يعْجَبُ رَبُّكَ مِنَ اَلشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ» مرحلة الشباب مرحلة فتوة وقوة ونشاط ونفس تدفع صاحبها للميل للشهوات واللهو والباطل إلا أن يسلمه الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ولهذا الغالب أن الشاب لا يسلم من صبوه لكن إذا نشأ الشاب على الاستقامة من أول حياته ليست له صبوة هذا أمر عجيب جدا يخبر نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن الرب العظيم جل شأنه «يعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ اَلشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ» يعني ليس له ميل إلى هوى النفس والشهوات لاعتياده منذ نشأته سبحان الله على الخير اعتياده على الخير وقوة عزيمته في البعد عن الشر فينشئ نشأة صالحة مستقيمة على طاعة الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قال «يعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ اَلشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ» والشاب الذي هذه حاله هو من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ذكر منهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « شَابٌّ نَشَأَ فِي طَاعَةِ اَللهِ » معنى نشأ في طاعة الله يعني « لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ» كل نشأته في الطاعة والاستقامة إذا كان الشاب في نشأته هذه حاله يعني إذا كانت هذه حاله يعني: «لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ» ليس له ميل للهوى والشهوات مع قوة ماذا؟ قوة الدافع ، قوة الشباب إذا لم يكن له صبوة مع قوة الدافع فله هذه المكرمة يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله تعال بالمقابل إلى مرحلة الشيخوخة والكبر التي مرحلة ضعف ووهن في القوى إذا كان الإنسان في هذه المرحلة التي مرحلة الضعف نفسه ميالة للشهوات ويقع في الفاحشة هذا جرمه عظيم ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اَللَهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » وذكر منهم «أُشَيْمِطٌ زَانٍ» بعض الأحاديث «شَيْخٌ زَانٍ» لماذا أخص بهذا الوعيد؟ مع أن الزنا محرم على الشيخ وعلى الشاب كلهم حرام عليهم لكن الشيخ الزاني أشيمط الزاني هذا وصل إلى مرحلة ما فيه قوة تدفعه قوة شهوة تدفعه لكن فيه ماذا؟ فيه خبث في النفس تدفعه لهذا الأمر فهنا مكافأة وهناك ماذا؟ عقوبة ،مرحلة القوة يقاومها الشاب له مكافأة عظيمة يظله الله يوم لا ظل إلا ظله وهناك في المقابل مرحلة ضعف ثم يرتكب مع عدم وجود الدافع والمغري ثم يرتكب هذه الفاحشة هناك عقوبة عظيمة جدا هنا مكافأة عالية جدا وهناك ماذا؟ عقوبة شديدة وَقَوْلُهُ: (يَضْحَكُ اَللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ قَتَلَ أَحَدُهُمَا اَلْآخَرَ ثُمَّ يَدْخُلَانِ اَلْجَنَّةَ) هذه فيها إثبات صفة الضحك لله على وجه يليق بجلال الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ولما ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض الأحاديث هذه الصفة قال أحد الصحابة (لا عدمنا الخير من رب يضحك) آمن وبدأ تتحقق فيه آثار هذا الإيمان قال (لا عدمنا الخير من رب يضحك) بخلاف المعطلة فإنهم سبحان الله بالتعطيل يعدمون الخير بالتعطيل يعدمون الخير قال: (يَضْحَكُ اَللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ قَتَلَ أَحَدُهُمَا اَلْآخَرَ ثُمَّ يَدْخُلَانِ اَلْجَنَّةَ) وتوضيحه جاء في الحديث لأن المصنف اقتصر على الشاهد منه وإلا توضيحه جاء

في الحديث (قَتَلَ أَحَدُهُمَا ٱلْآخَرَ) يكون القاتل كافر والمقتول مسلم ثم يؤمن هذا الكافر يدخل في الإسلام فيجتمعان في الجنة قال (فَهَذَا وَمَا أَشْبَهُهُ مِمَّا صَحَّ سَنَدُهُ، وَعُدِّلَتْ رُوَاتُهُ، نُؤْمِنُ بِهِ، وَلَا نَرُدُّهُ، وَلَا نَجْحَدُهُ، وَلَا نَتَأَوَّلُهُ بِتَأْوِيلٍ يُخَالِفُ ظَاهِرَهُ، وَلَا نُشَبِّهُهُ بِصِفَاتِ ٱلْمَخْلُوقِينَ، وَلَا بِسِمَاتِ ٱلْمُحْدَثِينَ)، (بِصِفَاتِ ٱلْمَخْلُوقِينَ ، بِسِمَاتِ ٱلْمُحْدَثِينَ) المعنى واحد وإنما تنويع في العبارة للتأكيد (وَنَعْلَمُ أَنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]) فلما ذكر هذه الأحاديث مشيرا بها إلى ما سواها من أحاديث الصفات ذكر المنهج والجادة أن كل ما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أحاديث الصحاح كله نؤمن به ولا نرد شيئا منه ولا نجحد ولا نكذب ولا نخوض في التأويلات الباطلة ولا نشبه شيء من صفات الله بصفات المخلوقين فربنا جل في علاه ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

قال: (وَكُلُّ مَا تُخِيِّلَ فِي الذِّهْنِ أَوْ خَطَرَ بِالبَالِ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى بِخِلَافِهِ -على خلاف ذلك)؛ لأن العقول أحقر شأنها أحقر من أن تبلغ كنه صفات الله والخوض في التكييف باطل وكل ما يتخيله الذهن ويخطر بالبال مما يعده المرء كمالا هو صفة الله فالله أعلى وأجل وهذا التكييف يكفي في إبطاله أن يقول المسلم الله أكبر يكفي في إبطاله أن يقول المسلم الله أكبر فإن من المعاني التي تدخل هنا أكبر من أن تبلغ العقول وتتصور الأذهان كمال صفاته وعظمة نعوته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك: ١٦]، وَقَوْلُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَبُّنَا اللهُ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاءِ تَقَدَّسَ ٱسْمُكَ»، وَقَالَ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: «فِي ٱلسَّمَاءِ» قَالَ: «اِعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» رَوَاهُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا مِنْ ٱلْأَئِمَّةِ، وَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحُصَيْنٍ: «كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ؟ قَالَ سَبْعَةً، سِتَّةً فِي ٱلْأَرْضِ، وَوَاحِدًا فِي ٱلسَّمَاءِ»، قَالَ: «مَنْ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟» قَالَ: «ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاءِ»، قَالَ: «فَاتْرُكْ ٱلسِّتَّةَ، وَاعْبُدْ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاءِ، وَأَنَا أُعَلِّمُكَ دَعْوَتَيْنِ؛ فَأَسْلَمَ» وَعَلَّمَهُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ: «ٱللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي» وَفِيمَا نُقِلَ مِنْ عَلَامَاتِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ فِي الكُتُبِ المُتَقَدِّمَةِ: «أَنَّهُم يَسْجُدُونَ بِالأَرْضِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ إِلَهَهُم فِي السَّمَاءِ»، وَرَوَى أَبُو دَاوُد فِي سُنَنِهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِن مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةَ كَذَا وَكَذَا» وَذَكَرَ ٱلْخَبَرَ

إِلَى قَوْلِهِ «وَفَوْقَ ذَلِكَ اَلْعَرْشُ، وَاَللهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ ذَلِكَ» فَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِمَّا أَجْمَعَ اَلسَّلَفُ -رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ - عَلَى نَقْلِهِ وَقَبُولِهِ، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِرَدِّهِ وَلَا تَأْوِيلهُ وَلَا تَشْبِيههِ وَلَا تَمْثِيلِهِ).

(سُئِلَ اَلْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ - فَقِيلَ: يَا أَبَا عَبْدِ اَللهِ ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] كَيْفَ اِسْتَوَى؟ فَقَالَ: اَلِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، ثُمَّ أَمَرَ بِالرَّجُلِ فَأُخْرِجَ).

هذه النصوص من الكتاب والسنة أوردها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعَالَى لبيان ثبوت علو الله عَزَّوَجَلَّ واستوائه على عرشه المجيد استواء يليق بجلاله وكماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإن الله عَزَّوَجَلَّ أخبر باستوائه على العرش في سبع آيات من القرآن هذه واحدة منها ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] وفي في ست آيات أخرى ثم استوى على العرش فيها اثبات استواء الله جَلَّوَعَلَا على عرشه والاستواء هو العلو والارتفاع واستوى على العرش **أي** على وارتفع علوا وارتفاع يليق بجلاله وكماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك: ١٦] **أي**: الله ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك: ١٦] هذا فيه اثبات علو الله السماء **أي** العلو من في السماء **أي** على السماء يوضح ذلك الحديث قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **«اِرْحَمُوا مِنْ فِي اَلْأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مِنْ فِي اَلسَّمَاءِ»** ما معنى **«مِنْ فِي اَلْأَرْضِ»** على الأرض **«يَرْحَمُكُمْ مِنْ فِي اَلسَّمَاءِ »** من على السماء ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ هذا فيه اثبات علو الله مثله هذا الحديث الذي أورده وهو قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **« رَبُّنَا اَللهُ اَلَّذِي فِي اَلسَّمَاءِ تَقَدَّسَ اِسْمُكَ »**والحديث اسناده مقال لكن ما قبله الآية الكريمة وما بعده حديث الجارية ونصوص أخرى كثيرة في الباب كلها تدل وتقرر هذا المعنى وقال للجارية **«أَيْنَ اَللهُ؟» قَالَتْ: «فِي اَلسَّمَاءِ» قَالَ: «اِعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»** أيضا حديث حصين والد عمران ابن حصين قال له النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهو على كفره لما كان على كفره قبل أن يسلم قال له **«كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ؟ قَالَ سَبْعَةً، سِتَّةً فِي اَلْأَرْضِ، وَوَاحِدًا فِي اَلسَّمَاءِ»، قَالَ: «مَنْ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟»** مثل ما في الآية الكريمة ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥] في الآية الأخرى قال قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٦٦ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾ **[الإسراء: ٦٧-٦٦]** قال ما الذي تجعل لرغبتك ورهبتك في الشدة وفي الرغبة العظيمة إلى من تلجأ من هؤلاء السبعة (**قَالَ: «اَلَّذِي فِي اَلسَّمَاءِ»**) **أي** الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهذا فيه أن المشركين مع الفساد في باب العبادة يؤمنون بعلو الله ولهذا يأتي في أشعار كثيرة

(يا عبل أين من المنية مهرب إن كان ربي في السماء قضاها) هذا شاعر جاهلي ويأتي هذا كثيرا في شعرهم وفي نثرهم فقال لما سأله **قَالَ:** «**مَنْ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟**» **قَالَ:** «**اَلَّذِي فِي اَلسَّمَاءِ**»، **قَالَ:** «**فَاتْرُكْ اَلسِّتَّةَ، وَاعْبُدْ اَلَّذِي فِي اَلسَّمَاءِ،** » وفي رواية «**فَاتْرُكْ الذي في الأرض وَاعْبُدْ اَلَّذِي فِي اَلسَّمَاءِ،** » **أي** الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وترغيبا له في الإسلام قال :«**وَأَنَا أُعَلِّمُكَ دَعْوَتَيْنِ؛ فَأَسْلَمَ**» وَعَلَّمَهُ اَلنَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ: «**اَللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي**» فتعليم الدعوتين مشروط في الإسلام إغراءًا له وترغيبا فلما أسلم طلب من النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وسلم أن يعلمه فعلمه هاتين الدعوتين «**اَللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي**» وهما دعوتان عظيمتان «**أَلْهِمْنِي رُشْدِي**» ألهمني سبيل الرشاد وقني شر نفسي وإذا ألهم الإنسان رشد نفسه وقي شرها هدي إلى صراط مستقيم قال: (وَفِيْمَا نُقِلَ مِنْ عَلَامَاتِ اَلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ فِي الكُتُبِ المُتَقَدِّمَةِ : «إِنَّهُم يَسْجُدُوْنَ بِالأَرْضِ، وَيَزْعُمُوْنَ أَنَّ إِلَهَهُم فِي السَّمَاءِ) هذا من الآثار التي تروى وربما أن المصنف ذكره من باب الاستئناس لكن من حيث الواقع المسلمون كلهم من لدن زمن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى يومنا هذا إذا سجدوا ماذا يقولون؟ نعم سبحان ربي الأعلى مثل ما هنا قال (إِنَّهُم يَسْجُدُوْنَ بِالأَرْضِ، وَيَزْعُمُوْنَ أَنَّ إِلَهَهُم فِي السَّمَاءِ) يزعمون **أي** يؤمنون أن إلههم في السماء **أي** في سجودهم يعلنون هذا الإيمان وهذا حاصل يقولون سبحان ربي الأعلى كل مسلم في سجوده يضع جبهته على الأرض مسبحا الله مؤمنا بعلوه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كذلك هذا الحديث الذي في سنن أبي داوود وفيه (وَفَوْقَ ذَلِكَ اَلْعَرْشُ، وَاَللهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ ذَلِكَ)هذا اثبات علو الله على عرشه كما جاء في الآيات المتقدمة قال (فَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِمَّا أَجْمَعَ اَلسَّلَفُ رَحِمَهُمُٱللَّهُ عَلَى نَقْلِهِ وَقَبُولِهِ، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِرَدِّهِ وَلَا تَأْوِيلِهُ وَلَا تَشْبِيهِ وَلَا تَمْثِيلِهِ) أمروه كما جاء وآمنوا به كما ورد ثم ختم الكلام على هذه الصفة بهذا الأثرالعظيم له المروي عن الإمام مالك لما سأله رجل عن كيفية الإستواء فغضب رَحِمَهُٱللَّهُ وقال الاستواء معلوم (اَلِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ) **أي:** معناه معلوم وواضح (وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ) أي مجهولا لانعلمه، (وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، ثُمَّ أَمَرَ بِالرَّجُلِ فَأُخْرِجَ).

نسأل الله الكريم أن ينفعنا وأن يوفقنا لكل خير وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين جزاكم الله خيرا.

الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فيقول موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى وغفر له ولشيخنا والسامعين وجميع المسلمين يقول في كتابه «لمعة الاعتقاد» قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

(وَمِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى؛ أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ، يَسْمَعُهُ مِنْهُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، سَمِعَهُ مُوسَى عليه السلام مِنْهُ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَسَمِعَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وَمَنْ أَذِنَ لَهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ، وَأَنَّهُ – سُبْحَانَهُ – يُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ، وَيُكَلِّمُونَهُ، وَيَأْذَنُ لَهُمْ فَيَزُورُونَهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى، إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَقُولَ هَذَا أَحَدٌ غَيْرُ اللهِ.)

(وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.»)

(وَرَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**يَحْشُرُ اللهُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاةً حُفَاةً غُرْلاً بُهْمًا، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ**» رَوَاهُ الْأَئِمَّةُ، وَاسْتَشْهَدَ بِهِ الْبُخَارِيُّ.)

(وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ – لَيْلَةَ رَأَى النَّارَ – فَهَالَتْهُ فَفَزِعَ مِنْهَا، فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا مُوسَى، فَأَجَابَ سَرِيعًا اِسْتِئْنَاسًا بِالصَّوْتِ فَقَالَ: لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ، أَسْمَعُ صَوْتَكَ، وَلَا أَرَى مَكَانَكَ، فَأَيْنَ أَنْتَ؟

فَقَالَ: أَنَا فَوْقَكَ، وَأَمَامَكَ، وَعَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، فَعَلِمَ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى، قَالَ: كَذَلِكَ أَنْتَ يَا إِلَهِي، أَفَكَلَامَكَ أَسْمَعُ، أَمْ كَلَامَ رَسُولِكَ؟ قَالَ بَلْ كَلَامِي يَا مُوسَى.)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله اللهم صلي وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين أما بعد:

هذا كلام عن صفة عظيمة من صفات ربنا جلَّ في علاه أفردها المصنف بالذكر لعظيم شأن هذه الصفة وأيضا لكثرة خوض أهل الباطل فيها بالباطل تحريفًا وتأويلاً وصرفًا للنصوص الواردة مثبتة في هذه الصفة إلى غير معناها وإلى غير مدلولها قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: (وَمِنْ صِفَاتِ اَللهِ تَعَالَى؛ أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ) أي: موصوف بالكلام والكلام صفة لله عَزَّوَجَلَّ يتكلم جَلَّوَعَلَا متى شاء بما شاء وكلامه بحرف وصوت فنثبت الكلام لربنا جَلَّوَعَلَا كما أثبته هو عَزَّوَجَلَّ لنفسه وكما أثبته له رسوله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه (وَمِنْ صِفَاتِ اَللهِ تَعَالَى؛ أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ) القول بأن كلام الله قديم هكذا على الإطلاق محل نظر لكن إذا فصل إلى جنس الكلام قديم وهو حادث الآحاد ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ۝٢﴾[الأنبياء: ١ - ٢]، فالكلام من حيث جنس الكلام وأصل الكلام قديم والله عَزَّوَجَلَّ لم يزل ولا يزال موصوفا بالكلام يتكلم متى شاء بما شاء سُبْحَانَهُوَتَعَالَى فالكلام نوعه قديم وآحاده محدث وآحاد الكلام محدث وأفراده محدث تكلم بالتورات ثم تكلم بالإنجيل ثم تكلم بالقرآن وهكذا أيضا سور القرآن نزلت سورة تلو الأخرى آية تلو أخرى فالله عَزَّوَجَلَّ متكلم بكلام قديم النوع حادث الآحاد هكذا يقال يسمعه أو(يَسْمَعُهُ مِنْهُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ)، ثم ذكر أمثلة قال (سَمِعَهُ مُوسَى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ) ستأتي الأدلة (مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ) أي: سمع كلام الله من الله كلمه الله بكلام وصوت سمعه موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ ولهذا يقال

لموسى كليم الله لأنه سمع كلام الله من الله (وَسَمِعَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ) أي: من الله ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤]، (وَمَنْ أَذِنَ لَهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ، وَأَنَّهُ – سُبْحَانَهُ – يُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ، وَيُكَلِّمُونَهُ) وهذا أيضا ستأتي الأدلة عليه (وَيَأْذَنُ لَهُمْ فَيَزُورُونَهُ)وفي هذه الزيارة ينظرون إلى الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ « يَكْشِفُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَمَا أَعْطَوْهُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ » ثم ساق أدلة من القرآن في إثبات هذه الصفة بدأها بقول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤] ، أي: كلاما سمعه موسى من الله جَلَّ وَعَلَا ومن هذا الكلام ما سيأتي ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤﴾ [طه: ١٤]، فهذا كله كلام سمعه موسى من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بلا واسطة قال : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤] ، ﴿تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤] ، هذه جاءت تؤكد أن الكلام الذي سمعه موسى هو كلام حقيقة سمعه حقيقة من الله كلمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تكليما يعني ترفع احتمال كلمه يعني بواسطة قال (كلمه تكليما) أي: أن الكلام الذي كلم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به موسى بلا واسطة وإنما سمعه موسى من الله جَلَّ وَعَلَا وقال سبحانه: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ۝١٤٤﴾ [الأعراف: ١٤٤]، ﴿ٱصْطَفَيْتُكَ ۝١٤٤﴾ [الأعراف: ١٤٤]، أي: شرفتك وفضلتك على الناس برسالاتي بل هو من أولي العزم من الرسل وبكلامي هذا موطن الشاهد ﴿وَبِكَلَٰمِى ۝١٤٤﴾ [الأعراف: ١٤٤]، أي: أن موسى سمعه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وقال سبحانه: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ۝٥١﴾ [الشورى: ٥١]، هذه الآية فيها أنواع الوحي وهي ثلاثة ذكرت في الآية ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ۝٥١﴾ [الشورى: ٥١]، إلا وحيا هذا نوع يعني الذي يلقي في قلب النبي من الوحي ﴿۞ أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ۝٥١﴾ [الشورى: ٥١]، مثل ما حصل لموسى سمع كلام الله من الله من وراء حجاب لم يرى الله لكنه سمع

كلامه ومثل أيضا ما حصل لنبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما عرج به إلى السماء فسمع كلام الله من الله أو ﴿يُرْسِلَ رَسُولًا ﴿٥١﴾﴾ مثل ما في نزول جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالوحي ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥]، وقال سبحانه ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا ﴿١١﴾﴾ [طه: ١١] ، أي: موسى ﴿نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴿١٢﴾﴾ [طه: ١١ – ١٢]، ﴿نُودِيَ ﴿١١﴾﴾ [طه: ١١]، أي: ناداه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴿١٢﴾﴾ [طه: ١١ – ١٢]، أي: أن الله عَزَّوَجَلَّ ناداه بهذا اللفظ ﴿أَنَا۠ رَبُّكَ ﴿١٢﴾﴾ [طه: ١٢] وهذا كلام لا يقوله إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿أَنَا۠ رَبُّكَ ﴿١٢﴾﴾ [طه: ١٢] ومثله الآية التي بعدها وقال سبحانه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤] ولهذا يقول المصنف (وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَقُولَ هَذَا أَحَدٌ غَيْرُ اَللهِ) لماذا يقول ذلك لأن من أهل البدع نفاة الكلام الذين ينفون الكلام عن الله وأن ليس من صفته الكلام يقولون أن الكلام الذي سمعه موسى هو كلام خلقه الله في الشجرة فسمعه موسى من الشجرة يقول المصنف (وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَقُولَ هَذَا أَحَدٌ غَيْرُ اَللهِ) لا الشجرة ولا غيرها هذا لا يقوله إلا الله رب العالمين ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤] ، أيصح أن تكون الشجرة خاطبت موسى قائلة: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤] هل يقول هذا من يفهم ويعظم ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: (وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَقُولَ هَذَا أَحَدٌ غَيْرُ اَللهِ).

(وَقَالَ عَبْدُ اَللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: « **إِذَا تَكَلَّمَ اَللهُ بِالْوَحْيِ ، سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ اَلسَّمَاءِ ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ اَلنَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »)، أي: روي مرفوعًا وموقوفًا ولفظه (« **إِذَا تَكَلَّمَ اَللهُ بِالْوَحْيِ ، سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ اَلسَّمَاءِ ، شَيْئًا فَإِذَا فَزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، وَسَكَنَ اَلصَّوْتُ عَرَفُوا أَنَّهُ اَلْحَقُّ ، نَادَوْا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا : اَلْحَقُّ** ») وله شاهد من حديث ابن عباس وله شاهد أيضا من حديث النواس بن سمعان فيه إثبات الكلام وأنه بصوت قال :(« **سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ اَلسَّمَاءِ** ») .

(وَمِثْلُهُ اَلَّذِي بَعْدَه حَدِيثِ عَبْدُ اَللهِ بْنُ أُنَيْسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنْ اَلنَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «يَحْشُرُ اَللهُ اَلْخَلَائِقَ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ عُرَاةً حُفَاةً غُرْلاً بُهْمًا، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ »)وهذا موطن الشاهد («يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبٍ أَنَا اَلْمَلْكُ، أَنَا اَلدَّيَّانُ») فهذا فيه إثبات الكلام لله عَزَّوَجَلَّ وأنَّه كلام بصوت وهذا حديث ثابت عن نبينا الكريم عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ فيه إثبات الكلام لله «أَنَهُ يُنَادِي بِصَوْتٍ يَسْمَعْهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ يقول أَنَا اَلْمَلْكُ، أَنَا اَلدَّيَّانُ» والحديث له تتمة اقتصر المصنف على موطن الشاهد منه وتتمة الحديث قال(« أَنَا اَلْمَلِكُ أَنَا اَلدَّيَّانُ وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ اَلْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ اَلْجَنَّةَ وَلأحِدٍ مِنْ أَهْلِ اَلنَّارِ عَلَيْهِ مَظْلِمَةِ حَتَّى اِقْتَصَهَا مِنْهُ وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ اَلنَّارِ أَنْ يَدْخُلَ اَلنَّارَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ اَلْجَنَّةِ عَلَيْهِ مُظْلِمَةً حَتَّى اَقْتَصَهَا مِنْهُ »). فقال الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ :(« وَكَيْفَ ذَاكَ وَهُمُ إِنَّمَا جَاءُوا بُهْمًا ») فقال:(« بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ») إنَّ في أول حديث قال: «يَحْشُرُ اَللهُ اَلْخَلَائِقَ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ عُرَاةً حُفَاةً غُرْلاً بُهْمًا» في مصادر الحديث قالوا «وَمَا بُهْمًا يَا رَسُولَ اَللهِ» أي: قال: ليس معهم من الدنيا شيء لأن «عُرَاةً »مفهومة «حُفَاةً» مفهومة «غُرْلاً »أي غير مختونين مفهومه لكن بهما ما عرفوا ايش المراد فقالوا: «وَمَا بُهْمًا يَا رَسُولَ اَللهِ» ؟ قال: « لَيْسَ مَعَهُمْ مِنَ اَلدُّنْيَا شَيْءً » ولما ذكر القصاص « قَالُوا : كَيْفَ يُكَوِّنُ ؟ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مِنْ اَلدُّنْيَا شَيْءً قَالَ : بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ » ما معنى :« بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ » يفسر هذا حديث المفلس **قال**:« أَتَدْرُونَ مِنْ اَلْمُفْلِسِ ؟ قَالُوا : اَلْمُفْلِسِينَ فينا مِنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعٍ ؟ قَالَ : اَلْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ بِصَلَاةِ وَصِيَامْ وَصَدَقَةٌ فَيَأْتِي وَقَدْ ضَرَبَ هَذَا وَشَتَمَ هَذَا وَسَفْكَ دَمَ هَذَا وَأَخَذَ مَالَ هَذَا فَيُأْخُذُ مِنْ حَسَانَاتَهُ فَيُعْطُونَ ، فَإِنَّ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهِ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ وَإِلَّا أَخْذ مِنْ سَيِّئَاتهم فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ وَطُرِحَ فِي اَلنَّارِ» هذا معنى قوله هنا في الحديث «: بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ » يعني أول ما يبدأ القصاص يؤخذ من حسناته وتعطى للمظلومين من ظلمهم « فَإِنَّ فَنِيَتْ قَبْلَ أَنَّ يَقْطِي مَا عَلَيْهِ اِنْتَهَتْ حَسَنَاتِهِ أَخْذَ مِنْ سَيِّئَاتهم وَطَرَحَتْ عَلَيْهِ » فالقصاص يوم القيامة ليس بالدرهم والدينار لأنهم يأتون «بُهْمًا ، لَيْسَ مَعَهُمْ مِنَ اَلدُّنْيَا شَيْءً » وإنما هو« بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ » ثم أورد

هذا الأثر وهو من ما ينقل عن بني اسرائيل هذا الأثر رواه الإمام أحمد في «الزهد» من رواية وهب ابن المنبه ولعل ذلك مما ينقله عن أهل الكتاب وما ذكر في النصوص المتقدمة يكفي في اثبات الكلام لكن أورده استئناسا بذلك، استئناسا بمثل هذه الأخبار وليس اعتمادا عليها قال وفي بعض الآثار(أن موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ليلة رأى النار فهالته ففزع منها فناده ربه يا موسى فأجاب سريعا استئناسا بالصوت) فهذا فيه إثبات الصوت مر معنا إثبات الصوت في الأحاديث المتقدمة الثابتة فقال: «لبيك ،لبيك اسمع صوتك ولا أرى مكانك» **يعني** أورده من أجل هذه اللفظة اثبات الصوت في كلام الله والصوت تقدم معنا في أحاديث ثابتة عن نبينا الكريم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فذكر هذا الأثر أوهذا الخبر ليس من باب الاعتماد على الثابت لكن من باب الاستئناس، «فقال أين أنت؟ قال أنا فوقك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك» هذا اللفظ فيه إشكال وإلا إن كان اعتبر في الفوقية علو الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وما بعده أمامك وعن يمينك وعن شمالك الإحاطة مثل هو الأول والآخر والظاهر والباطن الظاهر فيه إثبات العلو والباطن فيه إثبات الإحاطة إحاطة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فإن لم يحمل على ذلك يكون اللفظ منكر وعلى كل يغني عنه ولا حاجة إلى إرادة خاصة في مثل هذه المختصرات في العقيدة يعني الأولى أن تجنب مثل ذلك والله أعلم .

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

(وَمِنْ كَلَامِ اَللهِ سُبْحَانَهُ اَلْقُرْآنُ اَلْعَظِيمُ وَهُوَ كِتَابُ اَللهِ اَلْمُبِينُ، وَحَبْلُهُ اَلْمَتِينُ، وَصِرَاطُهُ اَلْمُسْتَقِيمُ، وَتَنْزِيلُ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ اَلرُّوحُ اَلْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِ سَيِّدِ اَلْمُرْسَلِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَهُوَ سُوَرٌ مُحْكَمَاتٌ، وَآيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، وَحُرُوفٌ وَكَلِمَاتٌ).

(مَنْ قَرَأَهُ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، لَهُ أَوَّلٌ وَآخِرُ، وَأَجْزَاءٌ وَأَبْعَاضٌ، مَتْلُوٌ بِالْأَلْسِنَةِ، مَحْفُوظٌ فِي اَلصُّدُورِ، مَسْمُوعٌ بِالْآذَانِ، مَكْتُوبٌ فِي اَلْمَصَاحِفِ، فِيهِ مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَنَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ، وَخَاصٌّ وَعَامٌّ، وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ

حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُـرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ وهَذَا اَلْكِتَـابُ اَلْعَرَبِيُّ اَلَّـذِي قَـالَ فِيـهِ اَلَّـذِينَ كَفَـرُوا ﴿لَـنْ نُـؤْمِنَ بِهَـذَا الْقُـرْآنِ﴾ وَقَـالَ بَعْضُـهُـمْ: ﴿إِنْ هَـذَا إِلَّا قَـوْلُ الْبَشَـرِ﴾؛ فَقَـالَ اَللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾، وَقَالَ بَعْضُـهُمْ هُوَ شِعْرٌ، فَقَالَ اَللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِـي لَـهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ فَلَمَّا نَفَى اَللهُ عَنْهُ أَنَّهُ شِعْرٌ، وَأَثْبَتَهُ قُرْآنًا، لَمْ يُبْقِ شُـبْهَةً لِـذِي لُـبٍّ فِي أَنَّ اَلْقُرْآنَ هُوَ هَذَا اَلْكِتَابُ اَلْعَرَبِيُّ اَلَّـذِي هُـوَ حُرُوْفٌ وكَلِمَـاتٌ وَآيَاتٌ لِأَنَّ مَا لَـيْسَ كَـذَلِكَ لَا يَقُـوْلُ أَحَدٌا: إِنَّهُ شِعْرٌ).

(وقـال عَـزَّ وَجَـلَّ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِـي رَيْـبٍ مِمَّـا نَزَّلْنَـا عَلَـى عَبْـدِنَا فَـأْتُوا بِسُـورَةٍ مِّـنْ مِثْلِـهِ وَادْعُـوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَحَدَّاهُمْ بِالْإِتْيَانِ بِمِثْلِ مَا لَا يُـدْرَى مَـا هُـوَ، وَلَا يُعْقَـلُ، وَقَـالَ تَعالَى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْـهُ قُـلْ مَـا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ فَأَثْبَتَ أَنَّ اَلْقُرْآنَ هُوَ اَلْآيَاتُ اَلَّتِي تُتْلَى عَلَيْهِمْ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَـلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، وَقَالَ تَعالَى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَـرِيمٌ، فِـي كِتَـابٍ مَكْنُـونٍ، لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ بَعْدَ أَنْ أَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ، وَقَالَ تَعالَى: ﴿كهيعص﴾، وقَالَ ﴿حم، عسق﴾، وَافْتَتَحَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ سُورَةً بِالْحُرُوفِ اَلْمُقَطَّعَةِ).

(وَقَالَ اَلنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَرَأَ اَلْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ؛ فَلَـهُ بِكُـلِّ حَـرْفٍ مِنْـهُ عَشْـرُ حَسَـنَاتٍ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَحَنَ فِيهِ؛ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ» حَدِيثٌ صَحِيحٌ.)

(وَقَالَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «اِقْرَءُوا اَلْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَـأْتِيَ قَـوْمٌ يُقِيمُـونَ حُرُوفَـهُ إِقَامَـةَ اَلسَّـهْمِ لَا يُجَـاوِزُ تَرَاقِيهِمْ؛ يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ»، وَقَـالَ أَبُـو بَكْـرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُوَعُمَـرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا الله عنـه: (إِعْـرَابُ اَلْقُرْآنِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ حِفْظِ بَعْضِ حُرُوفِهِ).

(وقال علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ منه فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهُ)، وَاتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عَدِّ سُوَرِ الْقُرْآنِ، وَآيَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ وَحُرُوفِهِ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنَّ مَنْ جَحَدَ مِنَ الْقُرْآنِ سُورَةً أَوْ آيَةً، أَوْ كَلِمَةً، أَوْ حَرْفًا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ أَنَّهُ كَافِرٌ، وَفِي هَذَا حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَى أَنَّهُ حُرُوفٌ.)

قال رَحِمَهُٱللَّهُ تَعَالَى : (وَمِنْ كَلَامِ اللهِ سُبْحَانَهُ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ) والقرآن العظيم هو خاتمة الكتب المنزلة كما أن النبي محمدا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ المنزل عليه هذا القرآن هو خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه وكذلك شريعته خاتمة الشرائع (وَمِنْ كَلَامِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ) قال جَلَّوَعَلَا : ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٩٢﴾ [الشعراء: ١٩٢]

أي: القرآن (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ)على قلبك لتكون من المنذرين (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) ثم ذكر رَحِمَهُٱللَّهُ صفاتا لهذا القرآن قال: (وَهُوَ كِتَابُ اللهِ الْمُبِينُ، وَحَبْلُهُ الْمَتِينُ، وَصِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ، وَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) هذه كلها صفات لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ تبين عظيم شأنه وأنه (كِتَابٌ مُبِينٌ) أي: بيِّن واضح ومبين للحق والهدى (وَحَبْلُهُ الْمَتِينُ) أي: الموصل إلى الله فهو حبل ممدود متين موصل إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ (وَصِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ، وَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) منزل من الله تكلم الله به وسمعه منه جبريل ونزل به على محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ) ، (مِنْهُ بَدَأَ) أي: هو الذي تكلم به تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين (مِنْهُ بَدَأَ) أي: هو الذي تكلم به وإليه يعود أي يرفع يوم القيامة من الصدور ومن السطور كما جاء بذلك الحديث عن نبينا الكريم عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ قال (وَهُوَ سُوَرٌ مُحْكَمَاتٌ، وَآيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، وَحُرُوفٌ وَكَلِمَاتٌ).

(مَنْ قَرَأَهُ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، لَهُ أَوَّلٌ وَآخِرٌ، وَأَجْزَاءٌ وَأَبْعَاضٌ، مَتْلُوٌّ بِالْأَلْسِنَةِ، مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، مَسْمُوعٌ بِالْآذَانِ، مَكْتُوبٌ فِي الْمَصَاحِفِ). هذا الذي ذكر رَحِمَهُٱللَّهُ كله أورد عليه أدلة فيما يأتي معنا، أورد أدلة على كل ما ذكره رَحِمَهُٱللَّهُ تَعَالَى: (وَهُوَ سُوَرٌ مُحْكَمَاتٌ، وَآيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، وَحُرُوفٌ وَكَلِمَاتٌ، مَنْ قَرَأَهُ فَأَعْرَبَهُ)،من (قَرَأَهُ فَأَعْرَبَهُ) أي: قراءة فيها فهم للمعنى وتدبرٌ

لهدايات القرآن ودلالاته (فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، لَهُ أَوَّلٌ وَآخِرُ) على ترتيب المصحف أوله الفاتحة وآخره سورة الناس (وَأَجْزَاءٌ وَأَبْعَاضٌ) أي: ولهذا يقال قرأ بعض القرآن أو قرأ القرآن كله أو قرأ بعضه أو قرأ جزءا من القرآن، القرآن (وَأَجْزَاءٌ وَأَبْعَاضٌ، مَتْلُوٌّ بِالْأَلْسِنَةِ، مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، مَسْمُوعٌ بِالْآذَانِ، مَكْتُوبٌ فِي الْمَصَاحِفِ) مراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذكر هذا كله أن القرآن أينما توجه فهو كلام الله سواء حفظ في الصدور أو كتب في المصاحف أو سمع في الآذان أو تلي بالألسن هو أينما توجه فهو كلام الله لأنَّ الكلام إنما يضاف لمن قاله ابتداء لا لمن نقله أداءًا فيه محكم ومتشابه وهذا سبق أن تقدم معنا فيه قول الله تعالى ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۝٧﴾ [آل عمران: ٧]، وفيه ناسخ ومنسوخ فيه آيات ناسخة وآيات منسوخة وفيه خاص وعام وفيه أمر ونهي عبد الله بن مسعود يقول: «إذا سمعت الله يقول يا أيها الذين آمنوا فأرعها سمعك فإنه إما أمر تؤمر به أو نهي تنهى عنه» ، فيه أوامر وفيه نواهي والأوامر تمتثل والنواهي ينتهى عنها ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾ [الإسراء: ٨٨]، ثم ساق آيات فيها التأكيد على أن القرآن كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ و جحد الكفار ذلك وتوعدهم بالعقوبة توعدهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعقوبة قالوا ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ۝٣١﴾ [سبأ: ٣١]، قالوا ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾ [المدثر: ٢٥]،فقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦﴾ [المدثر: ٢٦] وادعوا أنه شعر كل هذا نفي وجحد أن يكون كلاما منزلا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أيضا هذه الآيات التي فيها التحدي ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۝٢٣﴾ [البقرة: ٢٣] قال (وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَحَدَّاهُمْ بِالْإِتْيَانِ بِمِثْلِ مَا لَا يُدْرَى مَا هُوَ، وَلَا يُعْقَلُ) وهذا ينطبق على من يجحد أن يكون القرآن ألفاظه ومعانيه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أو يجعل المعنى من الله واللفظ من غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ ۝١٥

﴾ [يونس: ١٥]، قال: فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلى عليهم وأيضا أثبت أنها من الله ليست من قبل نفسه أو من تلقاء نفسه وإنما هي منزلة من الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فأثبت أنه آيات ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ ١٥﴾ [يونس: ١٥]، فأثبت أنه آيات وأيضا أثبت أنه منزل من الله وقال تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ ٤٩﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩] وقال تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ١﴾ [مريم: ١]، وقال ﴿حمٓ ١ عٓسٓقٓ ٢﴾ [الشورى: ١-٢]، هذه كلها يوردها رَحِمَهُ ٱللَّهُ اثباتا لما ذكره أن القرآن سور وآيات وحروف وكلمات فهذه الآيات كلها تدل على ذلك وهو بألفاظه وحروفه وكلماته وسوره وآياته هو كلام الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وقال النبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَهُ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ منه عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَمِنْ قَرَأَهُ وَلَحَّنَ فِيهِ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٍ**»، «**قَرَأَهُ فَأَعْرَبَهُ**»**أي**: قرأه قراءة صحيحة «**فَأَعْرَبَهُ**» **أي**: قرأه قراءة صحيحة ليس فيها لحن ومن «**قَرَأَهُ ولحن فيه**» مثل ما جاء في الحديث الآخر «**يَتَتَعْتَعْ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ**»، «**وَمِنْ قَرَأَهُ وَلَحَّنَ فِيهِ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٍ وهو ماهرٌ فيه فله بكل حرف عشر حسنات وَمِنْ قَرَأَهُ وَهُوَ يَتَتَعْتَعْ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٍ**» وقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**اِقْرَءُوا اَلْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ إِقَامَةَ اَلسَّهْمِ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ يَتَعَجَّلُونَ أَجْرُهُ وَلَا يَتَأَجْلُونَهْ**» الشاهد من الحديث هذا والذي قبله اثبات الحرف في كلام الله في الحديث الأول قال: «**فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ**» وهذا الحديث (**يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ**) القرآن حروف وألفاظ وكلمات وآيات وسور وهو منزل من الله هو الذي تكلم بحروفه وآياته وألفاظه وسوره وسمعه منه جبريل ونزل به على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**اِقْرَءُوا اَلْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ إِقَامَةَ اَلسَّهْمِ**» ما معنى «**إِقَامَةَ اَلسَّهْمِ**»؟ **يعني**: لا يخطئ في لفظ من ألفاظه يكون متقنا له حفظا وإقامة لمخارج القرآن وجودة في الأداء لكن «**لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ**» ما معنى «**لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ**»؟ **أي**: حظهم من القرآن نسأل الله السلامة والعافية حظهم من القرآن في حدود مخارج الصوت فقط لأن تبدأ مخارج صوت من التراقي الهمزة والهاء ثم ترتقي إلى مخارج تكون بالشفا

فحظهم هو المخارج فقط مخارج الحدود مخارج الحروف **بمعنى** أن قلوبهم لا تعي شيء من القرآن ولا تعقل شيئا من معناه لا يجاوز تراقيهم «**يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ**» ، «**يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ** » **أي**: في الدنيا مثل شهرة وسمعة وطلبا للدنيا بالقرآن « **وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ**» **أي**: ثوابا وذخرا يوم يلقون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه وَعُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا : «إِعْرَابُ اَلْقُرْآنِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ حِفْظِ بَعْضِ حُرُوفِهِ»).

(وَقَالَ عَلَيٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ منه فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهُ»).

وهذا كله أورده من أجل اثبات الحرف وأن القرآن حروف وألفاظ وكلمات وهو بحروفه وألفاظه وكلماته هو كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: («**وَاتَّفَقَ اَلْمُسْلِمُونَ عَلَى عَدِّ سُوَرِ اَلْقُرْآنِ، وَآيَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ وَحُرُوفِهِ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ اَلْمُسْلِمِينَ فِي أَنَّ مَنْ جَحَدَ مِنْ اَلْقُرْآنِ سُورَةً أَوْ آيَةً، أَوْ كَلِمَةً، أَوْ حَرْفًا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ أَنَّهُ كَافِرٌ، وَفِي هَذَا حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَى أَنَّهُ حُرُوفٌ** »).

وهذه الحروف والألفاظ هي كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي تكلم بألفاظه وحروفه جل في علاه .

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الآخرة بِأَبْصَارِهِمْ وَيَزُورُونَهُ، وَيُكَلِّمُهُمْ، وَيُكَلِّمُونَهُ، قَالَ اَللَّهُ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ فَلَمَّا حَجَبَ أُولَئِكَ فِي حَالِ اَلسُّخْطُ؛ دَلَّ عَلَى أَنَّ اَلْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ فِي حَالِ اَلرِّضَى، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ، وَقَالَ اَلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا اَلْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ». حَدِيثٌ صَحِيحٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَهَذَا تَشْبِيهٌ لِلرُّؤْيَةِ بالرؤية؛ لَا لِلْمَرْئِيّ بالمرئي، فَإِنَّ اَللَّهَ تَعَالَى لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ).

وأورد هنا ما يتعلق برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة وهذه من أجل الكرامات وأعظم المنن والعطايا التي يمن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها على المؤمنين ويكرمهم بها يوم القيامة وهو أفضل النعيم وأجله كما جاء في الحديث الذي في «صحيح مسلم» « **إِذَا دَخَلَ أَهْلُ اَلْجَنَّةِ اَلْجَنَّةَ قَالَ اَللَّهُ : هَلْ**

تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ ؟ أَلَمْ تُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ أَلَمْ تَبِيضْ وُجُوهَنَا قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَى اللهِ فَمَا أَعْطَوْا شَيْئًا أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ » .

قال: (« وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الآخرة بِأَبْصَارِهِمْ وَيَزُورُونَهُ، وَيُكَلِّمُهُمْ، وَيُكَلِّمُونَهُ »)، مثل ما تقدم معنا في الحديث قال: « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَقُولُ اللهُ » أي: لأهل الجنة « هَلْ تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدَكُمْ ؟ » فيقولون: هذا خطاب منهم لله « أَلَمْ تُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ أَلَمْ تَبِيضْ وُجُوهَنَا قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَى اللهِ فَمَا أَعْطَوْا شَيْئًا أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى اللهِ » فثمة نصوص كثيرة فيها أنهم يكلمون الله ويكلمهم وأنهم يزورونه يأذن لهم بذلك فيزونه وينظرون إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ « فَمَا أَعْطَوْا شَيْئًا أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى اللهِ. » سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: (وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الآخرة) أي: أن الرؤيا خاصة بالمؤمنين وتكرمة لهم وهي من أعظم النعيم الذي ينالونه في الدار الآخرة وقوله: (في الآخرة) فيه أن الرؤية لا تكون إلا في الآخرة مثل ما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ « اِعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا » يعني الدنيا ليس هناك فيها رؤيا ساق بعض الأدلة على الرؤيا من القرآن ومن السنة من القرآن أورد قول الله عَزَّوَجَلَّ :

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، ﴿نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ من النظرة وهي الحسن والبهاء ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣] أي: بأبصارها أي: بأبصارها أضاف النظر إلى الوجوه وعداه بحرف إلى وهذا لا يكون إلا بالنظر في بالعين الباصرة فوجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ﴿نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ [القيامة: ٢٢] أي: تنظر إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأبصارها وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥]، هذا في عقوبة الكفار عوقبوا بالحجب عن الله فإذا كانت العقوبة لهؤلاء الحجب فهذا مفهوم المخالفة في أن أهل الإيمان لهم ماذا؟ الرؤية هؤلاء يحجبون وأولئك يرون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولهذا يقول المصنف (فَلَمَّا حَجَبَ أُولَئِكَ فِي حَالِ السُّخْطُ) أي: عليهم (دَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ فِي حَالِ الرِّضَى، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ)، إذا كان الكل محجوب لأن من ينفي الرؤية عنده الكل محجوب فإذا لم يكن كذلك ،لم يكن بين المؤمنين والكفار فرق وقال

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّكُمْ سترَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا اَلْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ». أي: يحصل لكم ضيم في الرؤيا: « لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنَّ اِسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تَغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ اَلشَّمْسِ وَصَلَاةِ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا » «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ »أي: معاشر المؤمنين (كَمَا تَرَوْنَ هَذَا اَلْقَمَرَ) هنا تشبيه يقول المصنف (وَهَذَا تَشْبِيهٌ لِلرُّؤْيَةِ بالرؤية ؛ لَا لِلْمَرْئِيِّ بالمَرْئِيّ) تشبيه (لِلرُّؤْيَةِ بالرؤية) أي: كما أنكم ترون القمر حقيقة بأبصارك لا تضامون في رؤيته فكذلك سترون الله بأبصاركم حقيقة لا تضامون في رؤيته قال (فَإِنَّ اَللهَ تَعَالَى لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ) .

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالَى:

(وَمِنْ صِفَاتِ اللهِ تعالَى أَنَّهُ اَلْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ، وَلَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ، وَلَيْسَ فِي اَلْعَالَمِ شَيْءٌ يَخْرُجُ عَنْ تَقْدِيرِهِ، وَلَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ تَدْبِيرِهِ، وَلَا مَحِيدَ عَنْ اَلْقَدَرِ اَلْمَقْدُورِ، وَلَا يَتَجَاوَزُ مَا خُطَّ فِي اَللَّوْحِ اَلْمَسْطُورِ، أَرَادَ مَا اَلْعَالَمُ فَاعِلُوهُ، وَلَوْ عَصَمَهُمْ لَمَا خَالَفُوهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُطِيعُوهُ جَمِيعًا لَأَطَاعُوهُ، خَلَقَ اَلْخَلْقَ وَأَفْعَالَهُمْ، وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ وَآجَالَهُمْ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بحكمته، قَالَ اَللهُ تَعَالَى: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾، وَقَالَ اَللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾.)

(رَوَى اِبْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا اَلْإِيمَانُ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ اَلْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ" فَقَالَ جِبْرِيلُ: صَدَقْتَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَقَالَ اَلنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «آمَنْتُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ»، وَمِنْ دُعَاءِ اَلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اَلَّذِي عَلَّمَهُ اَلْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَدْعُو بِهِ فِي قُنُوتِ اَلْوِتْرِ «وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ»، وَلَا نَجْعَلُ قَضَاءَ اَللهِ وَقَدَرَهُ حُجَّةً لَنَا فِي تَرْكِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.)

بَلْ يَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ وَنَعْلَمَ أَنَّ لِلَّهِ عَلَيْنَا اَلْحُجَّةَ بِإِنْزَالِ اَلْكُتُبِ وَبِعْثَةِ اَلرُّسُلِ، قَالَ اَللهُ تَعَالَى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾، وَنَعْلَمَ أَنَّ اَللَّهَ – سُبْحَانَهُ – مَا أَمَرَ وَنَهَى إِلَّا اَلْمُسْتَطِيعَ لِلْفِعْلِ وَالتَّرْكِ، وَأَنَّهُ لَمْ يُجْبِرْ أَحَدًا عَلَى مَعْصِيَةٍ، وَلَا اِضْطَرَّهُ إِلَى تَرْكِ طَاعَةٍ، قَالَ اَللهُ تَعَالَى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن: ١٦]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ لِلْعَبْدِ فِعْلاً وَكَسْبًا، يُجْزَى عَلَى حُسْنِهِ بِالثَّوَابِ؛ وَعَلَى سَيِّئِهِ بِالْعِقَابِ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِقَضَاءِ اَللهِ وَقَدَرِهُ.)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :(وَمِنْ صِفَاتِ اَللهِ تَعَالَى أَنَّهُ اَلْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ) ذكر هنا يعني فصلا يتعلق بالإيمان بالقضاء والقدر وذكره في ضمن الكلام على صفات الله قال (وَمِنْ صِفَاتِ اَللهِ تَعَالَى أَنَّهُ اَلْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ ،وَلَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ) إلى آخر هذه التفاصيل التي ذكر مما يتعلق بالإيمان بالقدر والإيمان بالقدر هو من الإيمان بالله وصفاته، ولهذا الإمام أحمد يقول القدر قدرة الله ولهذا الذي يجحد القدر هو جاحد لهذه الصفات جاحد للقدرة وجاحد للمشيئة وجاحد للعلم فالإيمان بالقدر هو إيمان بصفات الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أنه الخالق أنه المدبر أنه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ له المشيئة النافذة وله القدرة الشاملة وله العلم المحيط، مراتب القدر العلم والكتابة والمشيئة والإيجاد فهذه كلها تتعلق بالإيمان بالله وصفاته وأفعاله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فالإيمان بالقدر هو من الإيمان بصفات الله الإيمان بالقدر قال: (وَمِنْ صِفَاتِ اَللهِ تَعَالَى أَنَّهُ اَلْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ، وَلَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ، وَلَيْسَ فِي اَلْعَالَمِ شَيْءٌ يَخْرُجُ عَنْ تَقْدِيرِهِ ، وَلَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ تَدْبِيرِهِ، وَلَا مَحِيدَ عَنْ اَلْقَدَرِ اَلْمَقْدُورِ، وَلَا يَتَجَاوَزُ مَا خُطَّ فِي اَللَّوْحِ اَلْمَسْطُورِ، أَرَادَ مَا اَلْعَالَمُ فَاعِلُوهُ، وَلَوْ عَصَمَهُمْ لَمَا خَالَفُوهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُطِيعُوهُ جَمِيعًا لَأَطَاعُوهُ) وساق على ذلك جملة من أدلة الكتاب الدالة على مثل قوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢﴾ [الفرقان: ٢]، أيضا ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ٣٨﴾ [الأحزاب: ٣٨]، ﴿ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ٤٠﴾ [طه: ٤٠]، ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣﴾[الأعلى: ١ – ٣] والآيات هذا المعنى في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ كثيرة ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢﴾ [الحديد: ٢٢]، وحديث جبريل المشهور فيه عد الإيمان بالقدر من جملة أصول الإيمان الستة وفي بعض النصوص لا يذكر الإيمان بالقدر مثل قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ﴿۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ١٧٧﴾[البقرة: ١٧٧]

لم يذكر الإيمان بالقدر لأنه داخل في الإيمان بالله مثل ما قال المصنف (وَمِنْ صِفَاتِ اَللهِ) وذكر الإيمان بالقدر وداخل في الإيمان بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ مثل أيضا :﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾[النساء: ١٣٦]

داخل في الإيمان بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في حديث جبريل ذكر أصول الإيمان الستة ومنها الإيمان بالقدر وقال النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ :« آمَنْتُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ» وهذا جاء في بعض روايات حديث جبريل المشهور (وَمِنْ دُعَاءِ اَلنَّبِيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ اَلَّذِي عَلَّمَهُ اَلْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَدْعُو بِهِ فِي قُنُوتِ اَلْوِتْرِ «وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ»). فيه اثبات القضاء قضيت.

ثم ينبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ على مسألة جليلة في باب القدر أن الإيمان بالقدر لا يجعله الإنسان حجة في ترك الأوامر، (وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيه، بَلْ يَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ وَنَعْلَمَ أَنَّ لِلَّهِ عَلَيْنَا اَلْحُجَّةَ بِإِنْزَالِ اَلْكُتُبِ وَبِعْثَةِ اَلرُّسُلِ قَالَ اَللهُ تَعَالَى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾، وَنَعْلَمَ أَنَّ اَللهَ – سُبْحَانَهُ – مَا أَمَرَ وَنَهى إِلَّا اَلْمُسْتَطِيعَ لِلْفِعْلِ وَالتَّرْكِ، وَأَنَّهُ لَمْ يُجْبِرْ أَحدًا عَلَى مَعْصِيَةٍ، وَلَا اِضْطَرَّهُ إِلَى تَرْكِ طَاعَةٍ
(

مثل ما قال الله تعالى :﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير: ٢٨ – ٢٩]

في الحديث قال :« **اِعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خَلَقَ لَهُ** » قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ :« **اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ** » قال:(قال الله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن: ١٦]. وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٧]. قال(فَدَلَّ عَلَى أَنَّ لِلْعَبْدِ فِعْلاً وَكَسْبًا، يُجْزَى عَلَى حُسْنِهِ بِالثَّوَابِ؛ وَعَلَى سَيِّئِهِ بِالْعِقَابِ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِقَضَاءِ اَللهِ وَقَدَرِهِ) ، فهذه أفعال للعباد هو الذي باشر الطاعة وهو الذي فعلها ولهذا يثاب على ذلك وأيضا الآخر هو الذي باشر المعصية واختار طريقها بإرادته أراد هذا طريق الخير وأراد هذا طريق الشر ولهذا كل يعاقب على ما قدم ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١]، ونسأل الله الكريم رب العرش عظيم أن ينفعنا أجمعين بما علمنا وأن يزيدنا علما وتوفيقا وأن يصلح لنا شأننا كله وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين إنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك اللهم صلي وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين جزاكم الله خيرا وبارك فيكم ونفع بكم.

الدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فيقول موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى وغفر له ولشيخنا والسامعين وجميع المسلمين: يقول في كتابه «لمعة الاعتقاد» الهادي إلى سبيل الرشاد.

(وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ وَعَقْدٌ بِالْجَنَانِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْعِصْيَانِ، قَالَ اَللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ فَجَعَلَ عِبَادَةَ اَللهِ تَعَالَى وَإِخْلَاصَ اَلْقَلْبِ وَإِقَامَ اَلصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ اَلزَّكَاةِ كُلَّهُ مِنْ اَلدِّينِ وَقَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اَلْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ اَلْأَذَى عَنْ اَلطَّرِيقِ»، فَجَعَلَ اَلْقَوْلَ وَالْعَمَلَ مِنْ اَلْإِيمَانِ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾، وَقَالَ: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا﴾، وَقَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَخْرُجُ مِنْ اَلنَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللهُ وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ، أَوْ خَرْدَلَةٍ، أَوْ ذَرَّةٍ مِنْ اَلْإِيمَانِ» فَجَعَلَهُ مُتَفَاضِلاً».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وصحبه أجمعين اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وأصلح لنا إلهنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين أما بعد هذا بيان من المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى للإيمان حقيقة الإيمان والإيمان حقيقته إنما تعرف بالشرع من كلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لوفد عبد القيس :«**أتدرون ما الإيمان؟ قالوا الله ورسوله أعلم**» مع أنهم يعرفون اللغة العربية ومدلولاتها « **قَالُوا اَللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمَ ، قَالَ : اَلْإِيمَانُ شَهَادَةً أَنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اَللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اَللهِ وَإِقَامِ اَلصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ اَلزَّكَاةِ وَأَنْ تُعْطُوا اَلْخُمُسَ مِنْ**

ٱلْمَغْـنَمِ » وفي القـرآن يقـول الله جَلَّ وَعَلَا لرسـوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، فالإيمان حقيقة شرعية إنما السبيل إلى معرفة حقيقته من خلال الكتاب والسنة كلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولهذا بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى هنا حقيقة الإيمان وساق الأدلة على ذلك من كتاب الله جَلَّ وَعَلَا وسنة رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال :« **وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ وَعَقْدٌ بِالْجَنَانِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْعِصْيَانِ**» فالإيمان باللسان والقلب والجوارح ليس الإيمان باللسان فقط ولا بالقلب فقط بل باللسان والقلب والجوارح، القلب له نصيبه من الإيمان واللسان له نصيبه من الإيمان والجوارح لها نصيبها من الإيمان والإيمان يكون بهذه كلها بالقلب واللسان والجوارح بالقلب عقيدةً وأيضا أعمالا زاكية تكون في القلب وبالجوارح نطقا وتلفظا وأيضا أعمالا تكون باللسان ذكرا لله وتلاوة لكلامه ودعوة إلى دينه وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وبالجوارح عملا بطاعة الله وإقامة لها على طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْعِصْيَانِ) كلما استكثر العبد من الطاعات زاد إيمانه وإذا وقع في المعاصي نقص إيمانه فالطاعة تزيد الإيمان والمعصية تنقص الإيمان وإذا كانت المعصية تنقص الإيمان فإنَّ تركها طاعة لله يعد زيادة في الإيمان لأن قوة إيمان المؤمن بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تحول بينه وبين المعصية وفي المؤمنين من هو قوي الإيمان وفيهم من هو ضعيف« **وَالْمُؤْمِنُ ٱلْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأُحِبُّ إِلَى ٱللهِ مِنْ ٱلْمُؤَمِّنِ ٱلضَّعِيفِ** » والمؤمنون ليسوا في الإيمان على رتبة واحدة ولا على درجة واحدة بل يتفاوتون بحسب تفاوتهم في خصال الإيمان وأيضا بحسب بعدهم عن الأمور التي تتنافى مع الإيمان الواجب من المعاصي والذنوب وقول الله جَلَّ وَعَلَا ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، هذا فيه شمول الإيمان لما يكون بالقلب والجوارح لأن الإخلاص هذا عمل القلب الإخلاص عمل القلب (وَإِقَامَ ٱلصَّلَاةِ) فيها أعمال بالجوارح وفيها أعمال اللسان ،(وَإِيتَاءَ ٱلزَّكَاةِ) عمل من أعمال الجوارح البذل والنفقة في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعد هذا كله من الإيمان

قال ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥]، أيضا حديث الشعب الذي ساقه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى يدل على أن الإيمان يكون باللسان والقلب والجوارح (اَلْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللهُ) قول (لَا إِلَهَ إِلَّا اَللهُ) أي: بالقلب عقيدة وباللسان نطقا وتلفظا قال:(والحياء شعبة من شعب الإيمان) والحياء هذا من أعمال القلوب (وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ اَلْأَذَى عَنْ اَلطَّرِيقِ والحياء شعبة من شعب الإيمان) ، (إِمَاطَةُ اَلْأَذَى عَنْ اَلطَّرِيقِ) هذا من أعمال الجوارح فجعل القول والعمل من الإيمان أي: جعل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في هذا الحديث حديث الشعب القول :(أَعْلَاهَا قَوْلُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللهُ) والعمل (أَدْنَاهَا إِمَاطَةُ اَلْأَذَى عَنْ اَلطَّرِيقِ) جعل ذلك عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من الإيمان فأفاد هذا الحديث أن الإيمان قول وعمل والقول هنا يراد به قول القلب وقول اللسان قول القلب عقيدة وقول اللسان نطقا وتلفظا وقال تَعَالَى: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ۝١٢٤﴾[التوبة: ١٢٤] وقال تَعَالَى ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا ۝٤﴾ [الفتح: ٤] هذه ساقها دليلا على أن الإيمان يزيد وينقص والقرآن نطق بالزيادة والسنة نطقت بالنقصان والدليل الذي يدل على زيادة الإيمان هو في نفسه يدل على النقص لأن الذي يقبل الزيادة يقبل النقص وقول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ « يَخْرُجُ مِنْ اَلنَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللهُ وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ، أَوْ خَرْدَلَةٍ، أَوْ ذَرَّةٍ مِنْ اَلْإِيمَانِ » هذا أيضا كما قال المصنف يفيد التفاضل، التفاضل حتى في الإيمان الذي في القلب لأنه قال (فِي قَلْبِهِ) أدنى (مِثْقَالُ بُرَّةٍ) أو أدنى (مِثْقَالُ خَرْدَلَةٍ) أو أدنى (مِثْقَالُ ذَرَّةٍ) وهذه أوزان مختلفة فإذن الإيمان الذي في القلب ليس على قدر واحد بل متفاضل وكذلك الإيمان الذي بالجوارح متفاضل ليسوا أهل الإيمان فيه على درجة واحدة فأفاد هذا الحديث أن الإيمان متفاضل وإذا كان الإيمان (مُتَفَاضِلاً) فهو يزيد وينقص ويقوى ويضعف وأهله ليسوا فيه سواء .

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

(وَيَجِبَ اَلْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ اَلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَحَّ بِهِ اَلنَّقْلُ عَنْهُ فِيمَا شَاهَدْنَاهُ، أَوْ غَابَ عَنَّا، نَعْلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ مَا عَقِلْنَاهُ وَجَهِلْنَاهُ وَلَمْ نَطَّلِعْ عَلَى حَقِيقَةِ مَعْنَاهُ، مِثْلَ

حَدِيثِ اَلْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ وَكَانَ يَقَظَةً لَا مَنَامًا، فَإِنَّ قُرَيْشًا أَنْكَرَتْهُ وَأَكْبَرَتْهُ، وَلَمْ تُنْكِرِ اَلْمَنَامَاتِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَلَكَ اَلْمَوْتِ لَمَّا جَاءَ إِلَى مُوسَى عليه السلام لِيَقْبِضَ رُوحِهِ لَطَمَهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ عَيْنَهُ.)

(وَمِنْ ذَلِكَ أَشْرَاطُ السَّاعَةِ مِثْلُ خُرُوجِ الدَّجَّالِ، وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- فَيَقْتُلُهُ، وَخُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَخُرُوجِ الدَّابَّةِ، وَطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ مِمَّا صَحَّ بِهِ النَّقْلُ).

(وَعَذَابُ الْقَبْرِ وَنَعِيمُهُ حَقٌّ، وَقَدْ اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ، وَأَمَرَ بِهِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ.

وَفِتْنَةُ الْقَبْرِ حَقٌّ، وَسُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ حَقٌّ، وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ حَقٌّ، وَذَلِكَ حِينَ يَنْفُخُ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فِي الصُّورِ: ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾).

(وَيُحْشَرُ اَلنَّاسُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً بِهِمَا، فَيَقِفُونَ فِي مَوْقِفِ اَلْقِيَامَةِ، حَتَّى يَشْفَعَ فِيهِمْ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُحَاسِبَهُمْ اَللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَتُنْصَبُ اَلْمَوَازِينُ، وَتُنْشَرُ اَلدَّوَاوِينُ، وَتَتَطَايَرُ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ إِلَى الْأَيْمَانِ وَالشَّمَائِلِ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا، وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾، وَالْمِيزَانُ لَهُ كِفَّتَانِ وَلِسَانٌ، تُوزَنُ بِهِ اَلْأَعْمَالُ ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾).

(وَلِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَوْضٌ فِي اَلْقِيَامَةِ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ اَللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنْ اَلْعَسَلِ، وَأَبَارِيقُهُ عَدَدُ نُجُومِ اَلسَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا، وَالصِّرَاطُ حَقٌّ، يَجُوزُهُ اَلْأَبْرَارُ، وَيَزِلُّ عَنْهُ اَلْفُجَّارُ).

(وَيَشْفَعُ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَنْ دَخَلَ اَلنَّارَ مِنْ أُمَّتِهِ مِنْ أَهْلِ اَلْكَبَائِرِ، فَيَخْرُجُونَ بِشَفَاعَتِهِ بَعْدَمَا اِحْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْمًا وَحُمَمًا، فَيَدْخُلُونَ اَلْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ، وَلِسَائِرِ اَلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ

وَالْمَلَائِكَةِ شَفَاعَاتٌ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ وَلَا تَنْفَعُ اَلْكَافِرَ شَفَاعَةُ اَلشَّافِعِينَ).

(وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ، فَالْجَنَّةُ مَأْوَى أَوْلِيَائِهِ، وَالنَّارُ عِقَابُ لِأَعْدَائِهِ، وَأَهْلُ الجَنَّةِ فِيْهَا مُخَلَّدُوْنَ ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ، لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾).

(وَيُؤْتَى بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُذْبَحُ بَيْنَ اَلْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُقَالُ: «يَا أَهْلَ اَلْجَنَّةِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ اَلنَّارِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ»).

هذا التفصيل الذي ذكر كله حديث عن الإيمان بالغيب الذي هو أصل من أصول الإيمان كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ٣﴾ [البقرة: ٢ – ٣]، ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ٣﴾ [البقرة: ٢ – ٣]، أي: بكل ما غاب عنهم مما أخبرت به رسل الله وجميع هذه التفاصيل التي ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى كلها داخلة تحت هذا الأصل الإيمان بالغيب والإيمان بالغيب هو الإيمان بكل ما أخبرت به رسل الله وصح به النقل عنهم، نؤمن به سواء شَاهَدْنَاهُ، أَوْ كان غَائِباً عَنَّا وما كان غائبا الإيمان به هو محك لأن الإيمان بالشيء المشاهد يؤمن به لمعاينته ومشاهدته لكن الغائب وخاصة أيضا إذا كان هذا الغائب أمورا عجيبة مذهلة مدهشة فالمؤمن من أعظم صفاته إيمانه بالغيب فكل ما أخبرت به الرسل حق سواء عقلناه أو لم نعقله سواء بلغ ذلك عقولنا أو قصرت عنه عقولنا فإنا نؤمن به سواء عقلناه أو جهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه فإنا نؤمن به لأن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ٤﴾[النجم: ٤]، وذكر أمثلة على ذلك **يعني** مثل حادثة الإسراء والمعراج هذه حادثة عجيبة جدا عجيبة جدا **يعني** في ليلة واحدة يسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم يعرج به إلى ما فوق السماء السابعة ثم يرجع كل ذلك في ليلة واحدة بين السماء والأرض مسيرة خمس مئة عام وبين كل سماء وسماء مسيرة خمس مئة عام مسافات شاسعة جدا وكل هذا في ليلة واحدة **يعني** هذه أمور ربما تتقاصر العقول في إدراك هذه الأمور لكنها حق ونبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يخبر إلا بما هو حق صلوات الله وسلامه

عليه و لهذا المؤمن يتلقى هذه الأخبار و يوطد نفسه على تلقيها دون اعتراض ودون انتقاد ، ودون استبعاد ودون تردد بل يتلقاها بالقبول مثل ما حصل لصديق الأمة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال« إِنَّ كَانَ أَخْبَرَ بِذَلِكَ فَهُوَ صَادِقٌ » هذا هو الإيمان ، قال (وَكَانَ يَقَظَةً لَا مَنَامًا، فَإِنَّ قُرَيْشًا أَنْكَرَتْهُ وَأَكْبَرَتَهُ) بل إنهم اتخذوا هذا الذي جاء يخبر به النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ صبيحة الإسراء والمعراج اتخذوه ذريعة للطعن في دينه أنه جاء بأمر ما يصدق ولا تقبله العقول ، حتى أثروا في بعض حديث الإيمان أثروا في نفوسهم فالحاصل أن من الإيمان ، الإيمان بكل ما أخبرت به رسل الله مما شاهدناه أو غاب عنا، قصة ملك الموت أخبر بها النبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ لما جاء إلى موسى عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ ليقبض روحه وجاءه على هيئة رجل

وما كان يعرف أنه ملك الموت لكن وجده في داره رجل لا يعرفه وجده في داره ولطمه موسى بيده ففقع عينه أتت اللطمة على عينه ففقع عينه، لما فقع عينه ما كان عنده علم أن هذا ملك مرسل من الله ووكل الله له ذلك ما كان عنده علم بذلك ولهذا من لم يقدر موسى قدره ومكانته ، يشكك في ذلك مثل ما حصل **يعني** من يشكك في هذا الخبر ويطعن في صحته لاستبعاده مثل هذا الأمر لكونه لم يفهمه على وجهه الصحيح فالله عَزَّوَجَلَّ أرسل هذا الملك على صورة رجل ولم يشعر أنه ملك اختبارا و ابتلاءا لموسى عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ فلطمه موسى، رجل في داره غريب لا يعرفه، فلطمه و رجع هذا الملك إلى الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ثم أمره أن يعود ابتلاء أيضا وقال:(قل له إن شئت فضع يدك على متن ثور فلك بكل ما غطت يدك بكل شعرة سنة) فلما علم موسى أنه ملك الموت وأنه جاء برسالة من عند الله طابت نفسه ولم يستمهل بل قال الآن فهذه المجيء الثاني يختلف عن المجيء الأول فالمجيئ الثاني عرف أنه ملك فمثل هذه الحقائق يجب أن المرء يسلم مثل ما فعل الصحابة لما سمعوا هذا الحديث تلقوه بالقبول ما بدأ التشكيك إلا في قرون متأخرة لما غلب الجهل وضعف الدين وحصلت الجرأة على أحاديث الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أيضا يدخل في الإيمان بالغيب الأخبار المستقبلة التي أخبر بها النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ (أَشْرَاطُ السَّاعَةِ مِثْلُ خُرُوجِ

الدَّجَّالِ، وَنُزُولِ عِيسَى)، وقتل الدجال له(وَخُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَخُرُوجِ الدَّابَّةِ، وَطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ مِمَّا صَحَّ بِهِ النَّقْلُ).

فهذه كلها حقائق وأمور لن تقوم الساعة حتى تقع هذه الأشياء وتحصل وتتحقق كما أخبر بذلك الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهذا كله من الإيمان الغيب كذلك الإيمان بالقبر وعذاب القبر ونعيم القبر هذا كله حق جاءت فيه أحاديث صحاح بل عذاب القبر قد دل عليه القرآن في آيات ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ﴿٢١﴾﴾[السجدة: ٢١]، ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦]، فهذا كله حق دل عليه القرآن ودلت عليه الأحاديث الصحاح الثابتة عن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وقد استعاذ نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من عذاب القبر وأمر به في كل صلاة أمر أمته بأن يستعيذوا بالله من عذاب القبر في كل صلاة قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: « **إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمُحَيَّا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ** » أيضا فتنة القبر سؤال الملكين من ربك ما دينك من نبيك؟ يأتيه ملكان ويجلسانه ما يقول الإنسان شاهدنا الميت وهو يدفن ما يكفي للجلوس ما يقال هذا الكلام وإذا فسح للمؤمن في قبره مد البصر القبور متجاورة وهذا يكون روضة من رياض الجنة وإلى جواره هذا روضة من رياض الجنة مد بصره وإلى جواره ربما حفرة من حفر النار وهذا في عذاب وهذا في نعيم هذه كلها أمور حق أخبر بها النبي الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ (وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ حَقٌّ، وَذَلِكَ حِينَ يَنْفُخُ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾[يس: ٥١])، وهذا دلائله كثيرة في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أيضا حشر الناس يوم القيامة في أرض لا ارتفاع فيها ولا انخفاض ولا ظل ليس فيها أشجار وإنما أرض منبسطة ممتدة يجمع فيها يحشر فيها الأولون والآخرون « **عُرَاةً حُفَاةً غُرْلاً بُهْمًا** ». مثل ما تقدم معنا في حديث عبد الله بن أنيس وجاء أيضا في أحاديث عديدة فيقفون في موقف القيامة يوما مقداره خمسين ألف سنة وتدنوا الشمس من الخلائق ويفزعون إلى الأنبياء

يطلبون الشفاعة فيتدافعها الأنبياء كل يحيل إلى الآخر إلى أن يحيلها عيسى إلى نبينا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيقول« أَنَا لَهَا » فيشفع فيهم عند الله ويجيء الرب حينئذ للفصل بين العباد ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠﴾ [البقرة: ٢١٠]، أيضا نصب الموازين ونشر الدواوين وتطاير صحف الأعمال فآخذ كتابه باليمين و آخذ كتابه بالشمال هذه كلها ثابتة يؤمن بها المؤمن وهي من الإيمان بالغيب وهي أيضا من الإيمان باليوم الآخر لأن الإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بكل ما أخبر به النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مما يكون بعد الموت، الميزان حق وجاءت في آيات كثيرة في كتاب الله ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ ٤٧﴾[الأنبياء: ٤٧]، ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلــــــة: ٧ -٨]، ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾ [المؤمنون: ١٠٢ – ١٠٣] أيضا الإيمان بالحوض المورود ومن الإيمان بالحوض الإيمان بصفاته التي جاءت في سنة النبي الكريم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كذلك الإيمان بالصراط الذي ينصب على متن جهنم ومن الإيمان بالصراط الإيمان أيضًا بصفاته التي جاءت بها سنة النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كذلك الإيمان بالشفاعة، شفاعة النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لمن دخل النار وهذه يشاركه فيها الأنبياء والصالحون والملائكة ولهذا قال (ولسائر الأنبياء وللمؤمنين والملائكة شفاعات قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨﴾[الأنبياء: ٢٨])

قال (وَلَا تَنْفَعُ الْكَافِرَ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ المدثر: ٤٨

لأن من شرط الشفاعة رضى الله عن المشفوع له كما تقدم في الآية: ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ٢٨﴾[الأنبياء: ٢٨] ، وإذن الله للشافع قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ البقرة: ٢٥٥، (وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ، فَالْجَنَّةُ مَأْوَى أَوْلِيَائِهِ، وَالنَّارُ عِقَابٌ لِأَعْدَائِهِ) من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار ومن الإيمان بالجنة والنار الإيمان بكل ما يتعلق بالجنة والنار مما ورد في كتاب الله

وسنة نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من ذلك أنهما مخلوقتان موجودتان النار موجودة أعدت للكافرين والجنة موجودة أعدت للمتقين وفي صلاة الكسوف رأى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النار حقيقة ورأى الجنة حقيقة، موجودة الجنة والنار موجودة ومن الإيمان بالجنة والنار أنهما لا تفنيان باقيتان أبد الآباد ومن الإيمان بالجنة، الإيمان بكل صفاتها التي جاءت في الكتاب والسنة ومن الإيمان بالنار الإيمان بكل صفات النار التي جاءت في الكتاب والسنة، كذلك الإيمان بالموت إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار وأخرج أيضا العصاة، عصاة الموحدين وبقي في النار أهل النار الذين هم أهلها حينئذ يؤتى بكبش كما ثبت ذلك الحديث في الصحيحين (كَبْشٍ أَمْلَحَ) يؤتى به بين الجنة والنار وينادى أهل الجنة وينادى أهل النار ويسألون أتعرفون ذلك ؟فيقولون : نعم لأن كل واحد منهم ذاقه ثم يذبح وهم يرونه ما يقول الإنسان كيف هذا؟ هل يمكن هذا من الإيمان بالغيب التي تمحص المؤمن عن غيره فيذبح بين الجنة والنار ويقال : (يَا أَهْلَ اَلْجَنَّةِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ اَلنَّارِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

(وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمُ اَلنَّبِيِّينَ وَسَيِّدُ اَلْمُرْسَلِينَ، لَا يَصِحُّ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يُؤْمِنَ بِرِسَالَتِهِ وَيَشْهَدَ بِنُبُوَّتِهِ، وَلَا يُقْضَى بَيْنَ اَلنَّاسِ فِي اَلْقِيَامَةِ إِلَّا بِشَفَاعَتِهِ، وَلَا يَدْخُلُ اَلْجَنَّةَ أُمَّةٌ إِلَّا بَعْدَ دُخُولِ أُمَّتِهِ، صَاحِبُ لِوَاءِ اَلْحَمْدِ، وَالْمَقَامِ اَلْمَحْمُودِ وَالْحَوْضِ اَلْمَوْرُودِ، وَهُوَ إِمَامُ اَلنَّبِيِّينَ وَخَطِيبُهُمْ وَصَاحِبُ شَفَاعَتِهِمْ، أُمَّتُهُ خَيْرُ اَلْأُمَمِ، وَأَصْحَابُهُ خَيْرُ أَصْحَابِ اَلْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ-، وَأَفْضَلُ أُمَّتِهِ أَبُو بَكْرٍ اَلصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ اَلْفَارُوقُ، ثُمَّ عُثْمَانُ ذُو اَلنُّورَيْنِ، ثُمَّ عَلِيٌّ اَلْمُرْتَضَى - رَضِيَ اَللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ -; لِمَا رَوَى عَبْدُ اَللهِ بْنُ عُمَرَ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قَالَ: (كُنَّا نَقُولُ وَالنَّبِيُّ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَيٌّ أفضل هذه الأمة بعد نبيها أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلَيٌّ رضي الله عنهم أجمعين، فَيَبْلُغُ ذَلِكَ اَلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا يُنْكِرُهُ)، وَصَحَّتْ اَلرِّوَايَةُ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: (خَيْرُ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ اَلثَّالِثَ)، وَرَوَى أَبُو اَلدَّرْدَاءِ

رَضِـيَ اللهُ عَنْـهُ عَـنْ اَلنَّبِـيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّـهُ قَـالَ: «مَـا طَلَعَـتْ اَلشَّـمْسُ وَلَا غَربَـتْ بَعْـدَ اَلنَّبِيِّـينَ وَالْمُرْسَـلِينَ عَلَـى أَفْضَـلَ مِـنْ أَبِي بَكْـر رضـي الله عنـهِ»، وَهُـوَ أَحَـقُّ خَلْـقِ اَللهِ بِالْخِلَافَـةِ بَعْـدَ اَلنَّبِـيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِفَضْلِهِ وَلسَابِقَتِهِ؛ وَتَقْدِيمِ اَلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ فِي اَلصَّـلَاةِ عَلَى جَمِيعِ اَلصَّـحَابَةِ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ -، وَإِجْمَاعِ اَلصَّحَابَةِ رضي الله عنهم عَلَى تَقْدِيمِهِ وَمُبَايَعَتِهِ، وَلَمْ يَكُـنْ اَللهُ لِـيَجْمَعَهُمْ عَلَـى ضَلَالَةٍ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لفَضْلِهِ وَعَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ عُثْمَـانُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لِتَقْـدِيمِ أَهْلِ الشُّورَى لَهُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لِفَضْلِهِ وَإِجْمَاعِ أَهْلِ عَصْرِهِ عَلَيْهِ).

(وَهَـؤُلَاءِ الْخُلَفَـاءُ الرَّاشِـدُونَ الْمَهْـدِيُّونَ الَّـذِينَ قَـالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِـيهِمْ: «عَلَـيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ اَلْخُلَفَاءِ اَلرَّاشِدِينَ اَلْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»، وَقَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اَلْخِلَافَةُ مِنْ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً» فَكَانَ آخِرُهَا خِلَافَةَ عَلِيٍّ رضي الله عنه.)

(وَنَشْهَدُ لِلْعَشَرَةِ بِالْجَنَّةِ كَمَا شَهِدَ لَهُـمْ اَلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَـالَ: «أَبُـو بَكْـرٍ فِـي اَلْجَنَّةِ، وَعُمَـرُ فِـي اَلْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي اَلْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي اَلْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي اَلْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي اَلْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِـي اَلْجَنَّـةِ، وَسَعِيدٌ فِي اَلْجَنَّةِ، وَعَبْدُ اَلرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي اَلْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنِ اَلْجَرَّاحِ فِي اَلْجَنَّةِ»، وَكُـلُّ مَـنْ شَـهِدَ لَـهُ اَلنَّبِـيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّـةِ شَـهِدْنَا لَـهُ بِهَـا؛ كَقَوْلِـهِ «اَلْحَسَـنُ وَالْحُسَـيْنُ سَـيِّدَا شَـبَابِ أَهْـلِ اَلْجَنَّةِ»، وَقَوْلِهِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ رضي الله عنه «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ اَلْجَنَّةِ»)

نعم كذلك من الإيمان الإيمان بمحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق نـؤمن بمحمـد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأنه خاتم النبيين وسيد المرسلين (**وَلَا يَصِحُّ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يُؤْمِنَ بِرِسَالَتِهِ وَيَشْهَدَ بِنُبُوَّتِـهِ وَلَا يُقْضَـى بَـيْنَ اَلنَّـاسِ فِـي اَلْقِيَامَـةِ إِلَّا بِشَـفَاعَتِهِ**) وهـذه الشـفاعة العظمـى التـي يغبطـه عليهـا الأولـون والآخـرون ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩﴾ [الإسـراء: ٧٩] ولا يـدخل الجنـة أمـة إلا بعد دخول أمته فنؤمن بمحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ونـؤمن بصـفاته وخصـائصـه وشـمائله كـل ذلـك نؤمن به فهو(صَاحِبُ لِوَاءِ اَلْحَمْدِ، وَصاحب اَلْمَقَامِ اَلْمَحْمُودِ وصاحب اَلْحَوْضِ اَلْمَـوْرُودِ، وَهُـوَ إِمَامُ اَلنَّبِيِّينَ وَخَطِيبُهُمْ وَصَاحِبُ شَفَاعَتِهِمْ) فهـذا كلـه نـؤمن بـه مـا يتعلـق بخصائصـه ومـا يتعلـق

بشمائله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، ما يتعلق بختم الرسالات به فلا نبي بعده ولا رسول فكل ذلك نؤمن به ونؤمن بأن أمته خير الأمم ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ثم نؤمن أيضا أن أمته متفاضلون وقد تقدم معنا أن أهل الإيمان متفاضلون فأمة محمد متفاضلون أفضلهم صديق الأمة فهو خير الناس بعد النبيين صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ وعن الصحابة أجمعين فأفضل أمة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وهذا الترتيب هو الحق الذي يجب أن يدين المرء به فأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وساق المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالَى جملة من الدلائل على ذلك ثم أيضا ما يتعلق بالخلافة ترتيبهم في الخلافة ومثل ما تقدم في ترتيبهم بالفضل فالخليفة الأول أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي هكذا كان واقع خلافتهم في مدة ثلاثين سنة وهذا الواقع الذي كانت عليه خلافتهم هو الحق فكان أبو بكر هو الأحق ثم عمر كان هو الأحق ثم عثمان كان هو الأحق ثم علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ وعن الصحابة أجمعين أيضا نؤمن بأنهم كلهم مهديون كما وصفهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بذلك راشدون مهديون « **عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي** » الخلفاء الراشدون هم هؤلاء الأربعة كما قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: « **الْخِلَافَةُ مِنْ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً** » كان آخرها خلافة علي تمت ثلاثين بموت علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ ثم أصبح بعدها ملك وبدأ الملك بمعاوية خال المؤمنين وخير ملوكهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ وأرضاه ونشهد للعشرة المبشرين بالجنة والذين جمعهم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حديث واحد نشهد لهم بالجنة كما شهد لهم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهم خير أمة محمد صلوات الله وسلامه عليه وهكذا أيضا كل من شهد له النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالجنة فإنا نشهد له كشهادة الحسن والحسين وثابت بن قيس بن شماس وغيرهم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالَى:

(ولانجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولانار إلا من جزم له الرسول صلى الله عليه وسلم لكنَّا نرجوا المحسن ونخاف على المسيء)

(وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ اَلْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ عَنْ اَلْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَنَرَى اَلْحَجَّ وَالْجِهَادَ مَاضِيا مَعَ طَاعَةِ كُلِّ إِمَامٍ – برًا كَانَ أَوْ فَاجِرًا – وصلاة اَلْجُمُعَةِ خَلْفَهُمْ جَائِزَةٌ قَالَ أَنَسٌ: قَالَ اَلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ اَلْإِيمَانِ، اَلْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اَللهُ، وَلَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ عَنْ اَلْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اَللهُ عَزَّوَجَلَّ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي اَلدَّجَّالَ، ولَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٌ، وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ، وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ).

يقول (وَلَا نَجْزِمُ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ اَلْقِبْلَةِ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ)، لكن من رأيناه محسنا مقبلا على طاعة الله محافظا على العبادة نرجوا له الخير العظيم والفضل العميم ولا نزكي على الله أحدا ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾[النجم: ٣٢] ، لكن من رأينا ظاهره الصلاح نرجوا له الخير نرجوا له الفضل نرجوا له الدرجات العالية في الجنة لكن لا نجزم بشيء من ذلك وأيضا العاصي الذي فعل أمورا تستوجب دخول النار لا نجزم له بأنه من أهل النار بل نخاف عليه لكن لا نجزم ، نخاف على المسيء لكن لانجزم، قد يكون هذا المسيء على في لاحق أمره على حال من أحسن ما يكون في العبادة و الإقبال على طاعة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ربما جزم إنسان أنه من أهل النار فيرتقي إلى حال خير من حال هذا الذي جزم له بذلك (وَلَا نَجْزِمُ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ اَلْقِبْلَةِ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ)، (وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ اَلْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ) **أي**: بمعاصي دون الكفر من أهل القبلة يعني من أهل الإيمان والتوحيد لا نكفره بذنب بمعاصي (وَلَا نُخْرِجُهُ عَنْ اَلْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ) **يعني** عمل ليس هو شركا أو كفرا بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ (وَنَرَى اَلْحَجَّ وَالْجِهَادَ مَاضِيَا) **أي**: مستمرا إلى قيام الساعة(مَعَ طَاعَةِ كُلِّ إِمَامٍ – برًا كَانَ أَوْ فَاجِرًا) وربط الحج والجهاد بطاعة الإمام سواء كان الإمام (برًا كَانَ أَوْ فَاجِرًا ، وَصَلَاةُ الجمعة خَلْفَهُمْ جَائِزَةٌ) وهذا جاء فيه نصوص كثيرة جمع كثيرًا منها الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الإمارة» من صحيحه .

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

(وَمِنَ اَلسُّنَّةِ تَوَلِّي أَصْحَابِ رَسُولِ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَحَبَّتُهُمْ، وَذِكْرُ مَحَاسِنَهُمْ، وَالتَّرَحُّمُ عَلَيْهِمْ، وَالاسْتِغْفَارِ لَهُم، وَالكَفِّ عَنْ ذِكْرِ مَسَاوِئِهِم، وَمَا شَجَرَ بينهم، وَاعْتِقَادُ فَضْلِهِمْ، وَمَعْرِفَةُ سَابِقَتِهِمْ قَالَ اَللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، وَقَالَ اَلنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فلوأَنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»، وَمِنْ اَلسُّنَّةِ اَلتَّرَضِّي عَنْ أَزْوَاجِ اَلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّهَاتِ اَلْمُؤْمِنِينَ اَلْمُطَهَّرَاتِ اَلْمُبَرَّآتِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ، أُفَضِّلُهُنَّ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَعَائِشَةُ اَلصِّدِّيقَةُ بِنْتُ اَلصِّدِّيقِ رضي الله عنها اَلَّتِي بَرَّأَهَا اَللهُ فِي كِتَابِهِ - زَوْجُ اَلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اَلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ -، فَمَنْ قَذَفَهَا بِمَا بَرَّأَهَا اَللهُ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِاَللهِ اَلْعَظِيمِ، وَمُعَاوِيَةُ خَالُ اَلْمُؤْمِنِينَ، وَكَاتِبُ وَحْيِ اَللهِ، أَحَدُ خُلَفَاءِ اَلْمُسْلِمِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ).

(وَمِنَ اَلسُّنَّةِ تَوَلِّي أَصْحَابِ رَسُولِ اَللهِ صلى الله عليه وسلم وَمَحَبَّتُهُمْ، وَذِكْرُ مَحَاسِنَهُمْ، وَالتَّرَحُّمُ عَلَيْهِمْ، وَالاسْتِغْفَارِ لَهُم، وَالكَفِّ عَنْ ذِكْرِ مَسَاوِئِهِم، وَمَا شَجَرَ بينهم، وَاعْتِقَادُ فَضْلِهِمْ، وَمَعْرِفَةُ سَابِقَتِهِمْ) هذا واجب اتجاه الصحابة هذا الواجب الذي ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ يرجع إلى أمرين يرجع إلى القلب واللسان القلب يكون نقيا تجاه الصحابة ليس فيه إلا المحبة والصفاء والنقاء ليس فيه غل ولا حقد ولا غير ذلك من معاني واللسان أيضا يكون سليما اتجاه الصحابة ليس فيه إلا الدعاء والثناء والترحم و الاستغفار وقد جمع الأمران في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ١٠﴾ [الحشر: ١٠]، فذكر ما يتعلق باللسان ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ١٠﴾ [الحشر: ١٠]، وذكر ما يتعلق بالقلب ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ١٠﴾ [الحشر: ١٠]،إذن الواجب اتجاه الصحابة يتلخص في هذين الأمرين سلامة القلب وسلامة اللسان ، اللسان ليس فيه إلا الدعاء والقلب ليس

فيه إلا المحبة والصفاء هذا الواجب اتجاه أصحاب النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومن السنة الترضي عن أزواجه ومحبتهن ومعرفة فضلهن وأنهن من آل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لهن المكانة العظمى وهن أمهات المؤمنين كما قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ...﴿٦﴾﴾ [الأحزاب: ٦] ، أمهاتهم بالاحترام والتوقير والتقدير ومعرفة أقدارهن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُنَّ وأرضاهن خص معاوية هنا وقال (وَمُعَاوِيَةُ خَالُ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَاتِبُ وَحْيِ اللهِ، أَحَدُ خُلَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ) خصه بالذكر أولا لفضله بهذه المعاني التي ذكر خال المؤمنين لأنه أخته أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو خال المؤمنين قدرا ومكانة وفضلا لأن أخته زوج إحدى زوجات النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وكاتب وحي الله وهذا من الشرف العظيم الذي أكرمه الله به أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمره بالكتابة كتابة الوحي عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو أول ملوك الإسلام وهو خيرهم وأفضلهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأرضاه خصه بالذكر لأنه كما قال بعض السلف معاوية ستر من هتكه هتك ماوراءه من تجرأ على معاوية سيتجرأ على ماوراءه من الصحابة ولهذا الذين تجرؤا على معاوية تجرؤا على أبو بكر وعلى عمر على علية أصحاب النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

(وَمِنَ السُّنَّةِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَأُمَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ - مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةِ اللهِ -؛ فَإِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِأَحَدٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَمَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَرَضُوا بِهِ، أَوْ غَلَبَهُمْ بِسَيْفِهِ حَتَّى صَارَ الْخَلِيفَةَ، وَسُمِّيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَبَتْ طَاعَتُهُ، وَحَرُمَتْ مُخَالَفَتُهُ وَالْخُرُوجُ عَلَيْهِ وَشَقُّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ).

وهكذا كما قدمت وردت في أحاديث كثيرة ثابتة عن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جمع الإمام مسلم كثيرًا منها في «الإمارة» من كتابه الصحيح.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَمِنَ اَلسُّنَّةِ هُجْرَانُ أَهْلِ اَلْبِدَعِ وَمُبَايَنَتُهُمْ، وَتَرْكُ اَلْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي اَلدِّينِ، وَتَرْكُ اَلنَّظَرِ فِي كُتُبِ اَلْمُبْتَدِعَة وَالْإِصْغَاءِ إِلَى كَلَامِهِمْ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ فِي اَلدِّينِ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ مُتَّسِمٍ بِغَيْرِ اَلْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ مُبْتَدِعٌ، كَالرَّافِضَةِ، وَالْجَهْمِيَّةِ، وَالْخَوَارِجِ، وَالْقَدَرِيَّةِ، وَالْمُرْجِئَةِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَالْكَرَّامِيَّةِ، والكُلَّابِيَّةِ، وَنَظَائِرِهِمْ، فَهَذِهِ فِرَقُ اَلضَّلَالِ، وَطَوَائِفُ اَلْبِدَعِ، أَعَاذَنَا اَللهُ مِنْهَا.

ونبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أخبرأنها ستوجد هذه الفرق قال: « **اِفْتَرَقَتْ اَلْيَهُودَ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، اِفْتَرَقَتْ اَلنَّصَارَى إِلَى اِثْنَتَيْ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلَّهَا فِي اَلنَّارِ ، إِلَّا وَاحِدَةٌ** »، فأخبرالناس أنها ستوجد هذه الفرق وحذر منها أشد التحذير صلوات الله وسلامه عليه ولما سئل عن الناجية منهم ، الفرقة

الواحدة الناجية قال:« من كان على **مِثْلُ مَا أَنَا عَلَيْهِ اَلْيَوْمَ وَأَصْحَابِي** » أما هذه الفرق التي إما أن تنتسب لأشخاص مثل الجهمية والكرامية والكلابية أو التي تنتسب إلى مقالات وعقائد مثل القدرية والمرجئة والرافضة والخوارج وتنتسب إلى مقالات وعقائد فالفرقة التي لها النجاة من كان على مثل ما كان عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه و علامة هذه الفرقة أنهم ينتسبون إلى سنته لا ينتسبون لمقالات مبتدعة ولا أيضا أشخاص أحدثوا بدعا في دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإنما ينتسبون إلى سنة النبي الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ .

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

(وَأَمَّا بِالنِّسْبَةُ إِلَى إِمَامٍ فِي فُرُوعِ اَلدِّينِ كَالطَّوَائِفِ اَلْأَرْبَعِ فَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ، فَإِنَّ اَلِاخْتِلَافَ فِي اَلْفُرُوعِ رَحْمَةٌ، وَالْمُخْتَلِفُونَ فِيهِ مَحْمُوْدُوْنَ فِي اِخْتِلَافِهِمْ، مُثَابُونَ فِي اِجْتِهَادِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ، وَاتِّفَاقُهُمْ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ).

(نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَعْصِمَنَا مِنَ البِدَعِ وَالفِتْنَةِ، وَيُحْيِيْنَا عَلَى الإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ، وَيَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَتَّبِعُ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَيَاةِ، وَيَحْشُرَنَا فِي زُمْرَتِهِ بَعْدَ المَمَاتِ؛ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ، آمِيْن).

(وَهَذَا آخِرُ المُعْتَقَدِ).

(وَالحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإن (اَلِاخْتِلَافَ فِي اَلْفُرُوعِ رَحْمَةٌ، وَالْمُخْتَلِفُونَ فِيهِ مَحْمُوْدُوْنَ فِي اِخْتِلَافِهِمْ، مُثَابُونَ فِي اِجْتِهَادِهِمْ، وَاخْتِلَافُهِمْ رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ) هذا قد يظن أن فيه الثناء على الاختلاف من حيث هو قال (وَالْمُخْتَلِفُونَ فِيهِ مَحْمُوْدُوْنَ فِي اِخْتِلَافِهِمْ، مُثَابُونَ فِي اِجْتِهَادِهِمْ، وَاخْتِلَافُهِمْ رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ) يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى (ليس ثناء على اختلاف فإن الاتفاق خير منه) وإنما المراد به نفي الذم عنهم وإن كل واحد محمود على ما قال لأنه مجتهد يتحرى الحق ويطلب الصواب كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ « **إِذَا اِجْتَهَدَ اَلْحَاكِمُ فأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانٌ وَإِذَا اِجْتَهَدَ وَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٍ وَاحِدٍ وَذَنْبِهِ مَغْفُورٍ** » وقوله (وَاخْتِلَافُهِمْ رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ) **يعني** على هذا المعنى الذي جاء في حديث النبي الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ثم ختم رحمه الله بهذا الدعاء (أَنْ يَعْصِمَنَا مِنَ البِدَعِ وَالفِتْنَةِ، وَيُحْيِيْنَا عَلَى الإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ، وَيَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَتَّبِعُ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَيَاةِ، وَيَحْشُرَنَا فِي زُمْرَتِهِ بَعْدَ المَمَاتِ؛ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ)، نسأل الله أن يحقق لنا أجمعين ذلك وأن يوفقنا لكل خير وأن يصلح لنا شأننا كله وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين وأن يهدينا إليه صراطا مستقيما إنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك واتوب إليك اللهم صلي وسلم على عبدك ورسولك وعلى نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين جزاكم الله خيرا و بارك الله فيكم ونفع بكم .